

لَيْسَ بَيْنَهُمَا خَاضِعٌ أَتَىٰ الْغُلَامَيْنِ ④

هُوَ طَائِبُ الْعَالَمِينَ

مَنْقُولٌ مِنَ الشَّرْحِ الصَّوْفِيِّ لِلْبَيْخِ الدُّكُورِ

صَاحِبِ بَرِّ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَمْدٍ الْعُصَيْمِيِّ

غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِسَائِمِهِ وَلِلْمُسْلِمِينَ

النُّسخة الأولى



لَيْسَ إِلَهُهُ إِلَّا هُوَ ذَا كُنُوزٍ عَالَمِينَ ﴿٤﴾

هُمُ الْمُطَّيَّرُونَ بِحُكْمِ رَبِّكَ

مَنْ قَوْلُ مَنْ أَسْرَعَ الصَّوْتِ لِلْبَيْعِ الدُّكُورِ

صَاحِبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَمْدٍ الْعُصَيْمِيِّ

غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِإِسَائِيهِ وَلِلْمُسْلِمِينَ

النُّسخة الأولى

هَيْبَةُ طَالِبِ الْعِلْمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الَّذِي جعلنا مسلمين، وَتَفَضَّلَ عَلَيْنَا بِإِكْمَالِ الدِّينِ، أَحْمَدُهُ - سُبْحَانَهُ -
عَلَى لُطْفِ عِنَايَتِهِ، وَجَمِيلِ رِعَايَتِهِ؛ فَبِرَحْمَتِهِ تَنْقَشِعُ الْهُمُومُ، وَتَبْثَدُ الْغُمُومُ، وَأَشْهَدُ أَلَّا
إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ،
إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ
وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ.

أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ؛ إِنَّ اللَّهَ قَدْ خَلَقَ الْإِنْسَانَ فَسَوَّاهُ وَعَدَلَهُ، وَجَعَلَهُ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ، كَمَا
قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ (٦) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (٧)
فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ (٨) [الانفطار]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ
تَقْوِيمٍ﴾ (٩) [التين].

وَمِنْ بَدِيعِ هَذِهِ الْخَلْقَةِ وَاسْتَوَائِهَا: أَنْ جَعَلَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ مِنَ الْبَدَنِ عُضْوًا تَخْضَعُ لَهُ بِقِيَّةُ
الْأَعْضَاءِ وَتَتَّبِعُ؛ فَهُوَ مَلِكُهَا وَسَيِّدُهَا، وَمُتَوَلِّي تَدْبِيرِ أَمْرِهَا، أَلَا وَهُوَ الْقَلْبُ؛ فَالْقَلْبُ مَلِكُ
الْبَدَنِ، وَالْأَعْضَاءُ جُنُودُهُ؛ فَإِنْ طَابَ الْمَلِكُ طَابَتِ جُنُودُهُ، وَإِنْ خَبُثَ الْمَلِكُ خَبُثَتِ
جُنُودُهُ.

وبرهان هذا: الحديث الذي أخرجه البخاري رحمه الله: حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ، حَدَّثَنَا زَكْرِيَّا، عَنْ عَامِرٍ - يَعْنِي الشَّعْبِيَّ -، عَنْ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ...، فَذَكَرَ حَدِيثًا طَوِيلًا فِيهِ: «أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ».

وهذا مما يُوجِبُ تعظيم شأن القلب، ويحمل على الاعتناء بالواردات القلبية؛ ليرعى محمودها، ويُقمع مذمومها؛ فيحفظ القلب بذلك صحيحاً قوياً، سليماً من الانجذاب إلى كُلِّ شُبْهَةٍ وَشَهْوَةٍ، سليماً يُدْخِلُ صاحبه إلى الجنّة، كما قال الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ (٨٨) ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (٨٩) [الشُّعْرَاءُ].

ومعرفة دقائق الأحوال القلبية، وتقلُّبات النفس البشريّة، بابٌ من الفقه عظيم، والحاجة إليه أكيدة؛ فهو سبب سعادة الدارين، وصلاح النَّشَأتَيْنِ، وقد كان اسم (الفقه) يشملُه عند السَّلف، كما ذَكَرَ أبو الفرج ابن الجوزي رحمه الله في صدر كتابه «منهاج القاصدين».

فلَمَّا ضَعُفَت القلوب عن حَمْلِ الْعِلْمِ كُلِّهِ، تَقَاسَمَ النَّاسُ ميراث النُّبُوَّة، وصار بعضهم في عِلْمٍ دون عِلْمٍ، وآل الأمرُ إلى إهمال عِلْمِ القلوب والنُّفوس، وشُهر به طوائف من الزَّائِغِينَ عن القرآن والسُّنَّة، وأَحْدَثُوا لِإِصْلَاحِ القلوب أحوالاً وأقوالاً ما أَنْزَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ.

لكن لم يَزَلْ في أهل السُّنَّة والحديث مَنْ يَنْزِعُ بِفَهْمٍ فِي هَذَا الْعِلْمِ، وَيَسْتَخْرِجُ دُرَرَهُ مِنْ لُجَّةِ بَحْرِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّة؛ فَمِنْهُمَا يَخْرُجُ اللَّوْلُو والمَرْجَان.

فَكَتَبَ جَمَاعَةً مِنْهُمْ - مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ - فِي الْأَحْوَالِ الْقَلْبِيَّةِ، وَالْخَوَاطِرِ النَّفْسِيَّةِ، فَلِلَّهِ دَرُّهُمْ، وَعَلَيْهِ شُكْرُهُمْ.

وَالْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ كَافِيَانِ وَلَيْسَ دُونَهُمَا كَافٍ، وَشَافِيَانِ وَلَيْسَ دُونَهُمَا شَافٍ؛ ففِيهِمَا الْجَوَابُ الْكَافِي، وَالتَّرْيَاقُ الشَّافِي، كَمَا قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي «النُّونِيَّةِ»:

وَالْكُلُّ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَنِ الَّتِي جَاءَتْ عَنِ الْمَبْعُوثِ بِالْفُرْقَانِ
وَاللَّهُ مَا قَالَ أَمْرِي مُتَحَذِّقٌ بِسَوَاهِمَا إِلَّا مِنَ الْهَذْيَانِ

وَمِنْ جُمْلَةِ الْوَارِدَاتِ الْقَلْبِيَّةِ: الْهَمُّ الَّذِي يَعْتَرِيهَا.

وَحَقِيقَتُهُ: أَنَّهُ حَالٌ تَعْتَرِي الْقَلْبَ فَتُجِيبُ النَّفْسُ فِي طَلَبِ مَرْغُوبٍ أَوْ خَوْفِ مَرْهُوبٍ.

فَالْهَمُّ حَالٌ، وَمَحَلُّ تِلْكَ الْحَالِ: الْقَلْبُ، وَمَالُهُ: إِجَابَةُ النَّفْسِ، وَغَايَتُهُ: طَلَبُ مَرْغُوبٍ، أَوْ خَوْفُ مَرْهُوبٍ.

وَيَنْتِجُ مِنْ هَذَا: أَنَّ الْهَمَّ هَمَّانٌ:

- أَوَّلُهُمَا: هَمٌّ تَقْوَى بِهِ النَّفْسُ، وَيَجْذِبُهَا لِلْوَصُولِ إِلَى مَقَاصِدِهَا.
- وَالثَّانِي: هَمٌّ تَضَعُفُ بِهِ النَّفْسُ، وَيَمْنَعُهَا مِنَ الْوَصُولِ إِلَى مَقَاصِدِهَا.

وَاخْتَصَّ الْهَمُّ الْمُقْوِي لِلنَّفْسِ بِاسْمِ (الْهَمَّةِ)، وَالْقَوْلُ فِيهِ مُرْجَى إِلَى مَقَامٍ آخَرَ.

وَالْمَقْصُودُ بِ(الْقَوْلِ) هُنَا: هُوَ الْهَمُّ الْمُقْلِقُ لِلنَّفْسِ، الْمُفَرِّقُ لَشَمْلِهَا، الْمُبَدِّدُ لِقُوَّتِهَا.

وَعَلَامَتُهُ فِيهَا: تَبَدُّدُ الْقُوَى، وَتَشَتُّتُ الذَّهْنِ، وَكَلْحُ الْوَجْهِ، وَضَعْفُ الرَّغْبَةِ، وَدَوَامُ الْفِكْرِ فِيمَا يُسْتَقْبَلُ مِنَ الزَّمَانِ.

وَأَبْوَابُهُ كَثِيرَةٌ، وَأَنْوَاعُهُ وَفِيرَةٌ، وَأَسْبَابُهُ مُتَكَاثِرَةٌ، تَعَدَّدَتْ لَتَعَدُّدِ مَطَالِبِ النُّفُوسِ الْعَلِيَّةِ

والدنيّة.

وكيف لا يكون الهمُّ بهذه المنزلة كثرةً وَوَفرةً، ونحن في دار البلاء والفتنة والكدر والمحنة؟! فالدنيا دار الأكدار والأقذار، والهموم والألأواء والغموم؛ قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ [البدر: ٤] أي في عناءٍ ومشقةٍ.

وقال ابن ماجه رحمه الله تعالى: حَدَّثَنَا غِيَاثُ بْنُ جَعْفَرٍ الرَّحْبِيُّ، أَنبَأَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ، سَمِعْتُ ابْنَ جَابِرٍ يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ رَبِّهِ يَقُولُ: سَمِعْتُ معاويةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا بَلَاءٌ وَفِتْنَةٌ».

ومِمَّا قِيلَ شعراً في هذا المعنى: قولُ أبي الحسن التَّهَامِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ:
طُبِعَتْ عَلَى كَدَرٍ وَأَنْتَ تُرِيدُهَا صَفَوْا مِنَ الْأَكْدَارِ وَالْأَقْدَارِ
وَمُكَلِّفُ الْأَيَّامِ ضِدَّ طِبَاعِهَا مُتَلَمِّسٌ فِي الْمَاءِ جَذْوَةَ نَارِ

وكان أبو العباس ابن تيمية رحمه الله تعالى يَتَمَثَّلُ بهذين البيتين كثيراً.

وهذه الدار بكلُّ زُخرفها وزينتها هي سجن المؤمنين، والسَّجن دار الهمِّ؛ كما ثَبَتَ بذلك الخبر عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما رواه مسلمُ بن الحَجَّاج في «صحيحه»، قال: حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ جَعْفَرٍ، عَنْ الْعَلَاءِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ».

قال فَتَحُ الموصلي رحمه الله - أحد العبَّاد الصَّالحين - : «كُنَّا قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَسَبَّانَا إبليس إلى الدنيا؛ فليس لنا إِلَّا الهمُّ والحُزنُ حَتَّى نُردَّ إِلَى الدَّارِ الَّتِي أَخْرَجَنَا

منها».

وما أحسن قول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى:

فَحَيَّ عَلَى جَنَاتٍ عَذْنٍ فَإِنَّهَا مَنَازِلُكَ الْأُولَى وَفِيهَا الْمُخَيَّمُ
وَلَكِنَّا سَبِيَّ الْعَدُوِّ فَهَلْ تُرَى نُرَدُّ إِلَى مَنَازِلِنَا وَنُسَلَّمُ

فالدُّنْيَا إِذَا هِيَ دَارُ الْمَشَقَّةِ وَالْعَنَاءِ، وَفِيهَا الْهُمُومُ وَالْغُمُومُ.

وَمِنْ أَعْظَمِ مُنْشِآتِ الْهَمِّ فِي الْقَلْبِ: أَنَّ هَذِهِ الدُّنْيَا طُبِعَتْ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ.

وَمِنْ أَسْبَابِ الْهَمِّ أَيْضًا: مَا جُبِلَتْ عَلَيْهِ النَّفْسُ مِنَ الْهَلَعِ، وَالسَّوْقِ إِلَى الْخَوْفِ

وَالْجَزَعِ؛ كَمَا قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠﴾

وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ۝٢١﴾ [المعارج].

فَالْجِبِلَّةُ النَّفْسِيَّةُ إِذَا انْقَادَ لَهَا صَاحِبُهَا وَلَدَتْ الْهَمَّ فِي قَلْبِهِ.

وَمِنْهَا: وَسُوسَةُ الشَّيْطَانِ وَتَزْيِينُهُ، وَجَلْبُهُ بِخَيْلِهِ وَرَجْلُهُ تَرْهِيًا وَتَرْغِيًا؛ كَمَا قَالَ اللَّهُ

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ ۝١٧٥﴾ [آل عمران: ١٧٥]؛ قَالَ أَهْلُ الْعِلْمِ

بِالتَّفْسِيرِ: (يُخَوِّفُكُمْ بِأَوْلِيَائِهِ لِتَخَافُوهُمْ).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ ۝٢٦٨﴾ [البقرة: ٢٦٨]، فِي آيَاتٍ

أُخْرَى، تَكْشِفُ الدَّوْرَ الْخَفِيِّ لِلشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ فِي إِحْدَاثِ الْهُمُومِ وَالْغُمُومِ.

وَمِنْهَا: الْإِسْتِرْسَالُ فِي الْخَوَاطِرِ؛ فَطَبِيعَةُ الْمَرْءِ: جَوْلَانُ الْخَوَاطِرِ فِي نَفْسِهِ، وَمَنْ لَمْ

يُحْسِنَ حِرَاسَةَ خَوَاطِرِهِ جَرَّهَ الْخَاطِرُ بَعْدَ الْخَاطِرِ إِلَى فِكْرَةٍ تَسْتَقِرُّ فِي نَفْسِهِ، يَنْتُجُ مِنْهَا

الْهَمُّ وَالْغَمُّ.

ومنها: ضَعْفُ الإِيْمَانِ وَقِلَّةُ الْيَقِيْنِ؛ لَغْلَبَةِ الْمَعَاصِي وَكَثْرَتِهَا، وَمَنْ ضَعُفَ إِيْمَانُهُ وَقَلَّ يَقِيْنُهُ صَارَ عُرْضَةً لِسَهَامِ الْهَمُومِ؛ فَإِذَا شَكَّ فَوَادَهُ وَاحِدٌ مِنْهَا قَتَلَهُ؛ لِرُكُونِهِ إِلَى نَفْسِهِ وَنِسْيَانِهِ لِرَبِّهِ.

ومنها: تَكَاثُرُ الْفِتَنِ؛ فَالْفِتْنُ الْمُصَبِّحَاتُ وَالْمُمَسِّيَّاتُ تُزْعِجُ النَّفْسَ وَتُبْلِلُ خَوَاطِرَهَا، وَتُكَدِّرُ أَفْكَارَهَا؛ فَيُجْرَفُ الْعَبْدُ بِالْهَمِّ وَرَاءَهَا، وَيَصِيرُ الْحَلِيمُ حَيْرَانًا بِأَحْدَاثِهَا.

ومنها: قِلَّةُ الْمَعْرِفَةِ بِالْعِلَلِ النَّفْسِيَّةِ وَالْآفَاتِ الْقَلْبِيَّةِ، مِمَّا يَقْعِدُ الْعَبْدَ عَنِ الْإِهْتِدَاءِ إِلَى سَبِيلِ دَفْعِهَا؛ فَتَحْفُهُ مُسَبِّبَاتُ الْهَمُومِ؛ فَلَا يُحِيطُ عِلْمًا بِهَا، وَلَا يَتَّبِعُ إِلَى خَطَرِهَا حَتَّى تَعْمَلَ فِي نَفْسِهِ عَمَلَهَا.

والقلوب تتفاوت في الهمِّ والغمِّ تفاوتًا كثيرًا، بحسب ما فيها من الإيمان والعصيان، والقُوَّةِ والضعف - كما قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى في «بدائع الفوائد».

وَمَا جَعَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ دَاءً إِلَّا وَلَهُ دَوَاءٌ؛ كَمَا صَحَّحَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ عَنِ النَّبِيِّ الْمُخْتَارِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَالْهَمُّ دَاءٌ مِنَ الْأَدْوَاءِ، وَفِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ وَتَجَارِبِ الْأُمَمِ - بِحَمْدِ اللهِ - دَوَاءُ الدَّاءِ.

وَمَجْمُوعُ مَا يُلْتَقَطُ مِنْ هَذَا وَذَلِكَ: تَقْرِيرُ أَنَّ لِلْهَمِّ نَوْعَيْنِ مِنَ الْأَدْوِيَةِ:

• أَحَدُهُمَا: الْأَدْوِيَةُ الشَّرْعِيَّةُ الْمَوْصُوفَةُ فِي خُطَابِ الشَّرْعِ.

• وَالْآخَرُ: الْأَدْوِيَةُ الْقَدَرِيَّةُ الْمَوْصُوفَةُ فِي لِسَانِ الْأُمَمِ.

وَالِإِتْيَانُ عَلَى جَمْعِهَا مَعَ قَرْنِهَا بِالْأَدَلَّةِ يَحْتَاجُ إِلَى وَقْتٍ طَوِيلٍ، لَكِنْ نَسْرُدُ مِنْهَا هَاهُنَا مَا يُنْتَفَعُ بِهِ إِلَى حِينٍ.

فمن الأدوية الشرعية:

- التَّوْحِيد.
 - وتنزيه الرَّبِّ عن الظُّلْم.
 - واعتراف العبد بتفريطه.
 - وتَوَسُّله إلى الله بأسمائه الحسنی وصفاته العُلى.
 - واستعانتة به، وتَوَكُّله عليه، ورجاؤه إِيَّاه.
 - والرَّتُّع في رياض القرآن.
 - والاستغفار والتَّوْبَة.
 - والجهاد والصَّلاة.
 - والبراءة من الحَوْل والقُوَّة.
 - والإيمان والعمل الصَّالح.
 - والدُّعاء والذِّكْر.
 - وجَمْع النَّفْس على ما ينفع.
 - وعدم التَّشَاغُل بما فات.
 - وحُسْن الظَّنِّ بالله.
 - وشهود المِنَّة الرَّبَّانِيَّة بتكفير الخطايا بالهَمِّ والغَمِّ.
- ولابن القيم رَحِمَهُ اللهُ تعالى فَصْلَان نَافِعَان مَاتِعَان لَا نَظِيرَ لهُمَا فِي الْجُزْءِ الرَّابِعِ مِنْ «زَادِ الْمَعَادِ»؛ بَيَّنَّ فِيهِمَا الْأَدْوِيَّةَ الشَّرْعِيَّةَ لِدَفْعِ الْهَمِّ وَالْغَمِّ، وَكَيْفِيَّةَ تَأْثِيرِ تِلْكَ الْأَدْوِيَّةِ فِي دَفْعِ هَذَا الدَّاءِ.

ومن الأدوية القدرية:

- حَسْمُ الأعمال في الحال، والتَّفَرُّغُ للمستقبل.
- وطَرْحُ التَّكَلُّفِ في أَخْذِ الفضائل.
- وتَخْيِيرُ الأعمالِ الفاضلة.
- وتوطِينُ النَّفْسِ على أَنْ لا تَطْلُبَ الشُّكْرَ إِلَّا من الله.
- والعِلْمُ بأنَّ أَذِيَّةَ النَّاسِ لك بِقَوْلٍ أو فِعْلٍ لا تَضُرُّكَ وَإِنَّمَا تَضُرُّهُمْ.
- واستحضارُ قِصْرِ الحياةِ الدُّنيا؛ فلا ينبغي أَنْ تُقَصِّرَ زيادةً في الهَمِّ.
- ورياضةُ النَّفْسِ على مُعَانَاةِ مُرِّ القِضاءِ، وتعويدُها الصَّبْرَ.

ذَكَرَ هَؤُلَاءِ جَمِيعًا ابْنُ سَعْدِي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي «الْوَسَائِلِ الْمُفِيدَةِ فِي الْحَيَاةِ السَّعِيدَةِ».

ومن الأدوية القدرية أيضًا: استعمَالُ ما فِيهِ صُفْرَةٌ؛ فَإِنَّ الصُّفْرَةَ تَبْسُطُ النَّفْسَ، وَتَذْهَبُ بِالْغَمِّ؛ ذَكَرَهُ أَبُو حَيَّانَ الْأَنْدَلُسِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي «الْبَحْرِ الْمَحِيطِ».

وَشَاهِدُهُ: قَوْلُهُ تَعَالَى فِي بَقَرَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ: ﴿بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّظِيرِينَ﴾ [البقرة: ٦٩].

ومنها: الطَّبُّ وإِتْيَانُ الزَّوْجَةِ، وَقَدْ ذَكَرَهُمَا أَبُو الْفَرَجِ ابْنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي بَعْضِ رِسَائِلِهِ.

ومنها: الرَّمْيُ؛ فَإِنَّ لَهُ أَثْرًا فِي إِذْهَابِ الْهَمِّ وَالْغَمِّ؛ كَمَا ذَكَرَهُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِ «الْفُرُوسِيَّةِ».

ومنها: لُبْسُ الفَضَّة؛ كما ذكره ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ تعالى في «زاد المعاد».

ومنها: النَّظَرُ فِي الْأَنْوَارِ وَالْأَزْهَارِ وَالْأَطْيَارِ الْمَلِيحَةِ وَالْأَلْوَانِ الْحَسَنَةِ؛ ذكره السُّيُوطِيُّ رَحِمَهُ اللهُ تعالى في «الشَّمَائِلِ الشَّرِيفَةِ».

وما تَقَدَّمَ مِنَ الْكُلِّيَّاتِ فِي أَسْبَابِ الدَّاءِ وَأَنْوَاعِ الدَّوَاءِ، لَا يَمْنَعُ مِنْ وَجُودِ تَفَاصِيلِ لَهَا، تَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الْهَمُومِ، كَمَا يَكُونُ ذَلِكَ فِي الْبَدَنِ، مِنْ إِجْمَالٍ وَتَفْصِيلٍ فِي الدَّاءِ وَالدَّوَاءِ.

ومهما يَحَارُ الْمَرْءُ فِي مَعْرِفَتِهَا، فَإِنَّ الْمُطَّلَعَ عَلَى أَحْوَالِ النَّاسِ يَقِفُ عَلَى أَدْوَائِهِمْ وَأَحْوَالِهِمْ فِي أَنْوَاعِ الْهَمُومِ، وَيَطَّلِعُ بِتَجَرِبَتِهِ عَلَى سُبُلِ دَفْعِهَا.

وَمَنْ الْهَمُومُ الَّتِي تَلْزِمُ مَعْرِفَتُهَا لِلْبَحْثِ فِي سُبُلِ زَوَالِهَا: هَمُومُ الطَّلَبِ؛ لِأَنَّ الطَّلَبَ هُوَ السَّبِيلُ الْمُوَصِّلُ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِمَعْرِفَتِهِ وَمَعْرِفَةِ أَمْرِهِ، الْمُفْضِي بِصَاحِبِهِ إِلَى الْجَنَّةِ.

وَإِذَا لَمْ تُتَعَرَّفْ هَمُومُهُ وَطُرُقُ مَدَاوَاتِهِ، أَضَرَّ ذَلِكَ بِالْمُتَعَلِّمِينَ، وَقَطَعَهُمُ عَنِ الْعُبُودِيَّةِ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَلَأَجْلِ هَذَا؛ اخْتَرْتُ أَنْ أَتَحَدَّثَ إِلَيْكُمْ اللَّيْلَةَ عَنْ جَمَلَةٍ مِنَ هَمُومِ الطَّلَبِ، وَأَصِفُ الْأَدْوِيَةَ النَّافِعَةَ الَّتِي تَتَّبَعُهَا؛ مُقْتَصِرًا فِي ذَلِكَ عَلَى الْمُهِمَّاتِ، سَائِلًا اللَّهَ لِي وَلَكُمْ التَّوْفِيقَ وَبَلُوغَ الْغَايَاتِ.





إذ يُلقى في نفس قاصد العلم: الخوفُ من الرياء والتَّسميع؛ فيقع عليه الهمُّ أهو مُخلصٌ في العلم أم لا؟

ولا يعرف الرياء إلا المخلصون، ولا يتكلمسه في جنبات النفس إلا الصادقون.

أما الصادفُ عن مُجاذبة نفسه همَّ الإخلاص: فعلى شفا هلكة.

وورود هذا الهمِّ علامة خيرٍ إن شاء الله.

ومن الفقه اللازم: معرفة مقاصد النية في طلب العلم؛ فإنَّ النية في طلب العلم تقوم

على أربعة أصول:

- ✓ أولها: قَصْدُ رَفْعِ الْجَهْلِ عَنِ النَّفْسِ.
- ✓ وثانيها: قَصْدُ رَفْعِ الْجَهْلِ عَنْ غَيْرِهِ.
- ✓ وثالثها: قَصْدُ حِفْظِ الْعُلُومِ مِنَ الضِّيَاعِ.
- ✓ ورابعها: قَصْدُ الْعَمَلِ بِالْعِلْمِ.

وإلى هؤلاء أشرتُ:

وَنِيَّةٌ لِلْعِلْمِ رَفْعُ الْجَهْلِ عَمَّ	عَنْ نَفْسِهِ فَعَيْرِهِ مِنَ النَّسَمِ
وَبَعْدُهُ التَّخَصُّيْنُ لِلْعُلُومِ مِنْ	ضَيَاعِهَا وَعَمَلٌ بِهِ زُكْنُ

فَزَوَالُ هَذَا الِهَمِّ بِتَلَمُّسِ هَذِهِ الْمَقَاصِدِ فِي نِيَّةِ الطَّلَبِ؛ لِتَصِحَّ وَتُسْتَقِيمَ، وَلِيُكْشِفَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ عَنْهَا فِي قَلْبِهِ حَقِيقَةً وَمَعْنَى.

فَإِنْ وَجَدَهَا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ؛ فَبِفَضْلِهِ هُدِيَ، وَإِذَا لَمْ يَجِدْهَا فَلْيُكْشِفْ وَلْيُجَاهِدْ عَنْ نَفْسِهِ فِي طَلَبِهَا؛ فَإِنَّهُ يُعَانِ عَلَى ذَلِكَ، وَيُسِّرُ لَهُ الْأَمْرَ.

وَقَدْ وَقَعَ هَذَا لَجَمَاعَةٍ مِنَ السَّلَفِ رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى، طَلَبُوا الْعِلْمَ بِلَا نِيَّةٍ، ثُمَّ سَعَوْا فِي تَصْحِيحِهَا؛ فَصَلَحَتْ نِيَّاتُهُمْ، وَاسْتَقَامَتْ أحوَالُهُمْ.

قَالَ مَعْمَرُ بْنُ رَاشِدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: «كَانَ يُقَالُ: إِنَّ الرَّجُلَ لَيَطْلُبُ الْعِلْمَ لَغَيْرِ اللَّهِ، فَيَأْبَى عَلَيْهِ الْعِلْمَ حَتَّى يَكُونَ لِلَّهِ».

قَالَ الدَّهْبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي «سِيرِ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ» عَقَبَ ذِكْرُهُ لَهُ: (نَعَمْ، يَطْلُبُهُ أَوَّلًا، وَالْحَامِلُ لَهُ: حُبُّ الْعِلْمِ، وَحُبُّ إِزَالَةِ الْجَهْلِ، وَحُبُّ الْوُضَائِفِ، وَنَحْوُ ذَلِكَ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ عِلْمٌ وَجُوبِ الْإِخْلَاصِ فِيهِ، وَلَا صِدْقُ النِّيَّةِ، فَإِذَا عَلِمَ حَاسِبَ نَفْسِهِ، وَخَافَ مِنْ وَبَالِ قَصْدِهِ، فَتَجَيَّئُهُ النِّيَّةُ الصَّالِحَةُ كُلُّهَا أَوْ بَعْضُهَا، وَقَدْ يَتَوَبُّ مِنْ نِيَّتِهِ الْفَاسِدَةِ وَيَنْدَمُ). اهـ.

وَلْيَحْذَرِ الْعَبْدُ مِنَ النُّكُوصِ عَنِ السَّعْيِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ بِدَعْوَى عَدَمِ الْقُدْرَةِ عَلَى الْإِخْلَاصِ فِيهِ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَفْتَحُ لَكَ بَابَ شَرٍّ بِمِفْتَاحِ نُصْحٍ.

وَلَمْ تُؤْمَرْ بِهَذَا؛ بَلْ أُمِرْتَ بِالصَّبْرِ وَالْمَصَابِرَةِ وَالْجِهَادِ وَالْمُجَاهَدَةِ، وَوُعِدَ الصَّابِرُ الْمُجَاهِدُ بِالْفَلَاحِ وَالْهُدَايَةِ؛ كَمَا قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا

وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩].



إِنَّ بُلُوغَ الْمَطَالِبِ مَرَهُونٌ بِسَيْرِ الطَّالِبِ؛ فَإِذَا حَثَّ خُطَاهُ، وَمَيَّزَ صَوَابَ الطَّرِيقِ وَخَطَاهُ؛ ظَفَرَ بِمَقْصُودِهِ.

وَمِمَّا يُصَحِّحُ بِهِ السَّيْرَ لِبُلُوغِ الْخَيْرِ: الْاهْتِدَاءُ إِلَى طَرِيقِ الطَّلَبِ؛ لِأَنَّ إِضْلَالَهُ وَعَدَمَ الْاهْتِدَاءِ إِلَيْهِ يَضِيعُ بِهِ عُمْرٌ كَثِيرٌ، وَلَا يُحْصَلُ إِلَّا عِلْمٌ يَسِيرٌ.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى في «الفوائد»: (الجهل بالطريق، وآفاتِها، والمقصود؛ يُوجِبُ التَّعَبَ الْكَثِيرَ، مع الفائدة القليلة). اهـ.

وَأَكْثَرُ الْمُقْبِلِينَ عَلَى طَلَبِ الْعِلْمِ يَعْلَمُونَ أَنَّ لَهُ طَرِيقًا، لَكِنَّهُمْ يَجْهَلُونَ تَفَاصِيلَهُ، فَيُقْبَلُ أَحَدُهُمْ عَلَى الْعِلْمِ يُقَدِّمُ رَجُلًا وَيُؤَخِّرُ أُخْرَى، وَفَرَائِضُهُ تَرْتَجِفُ خَشْيَةً أَنْ يَضَعَ قَدَمَهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا، فَيَضْعُفُ سَيْرُهُ بِسَبَبِ وُرُودِ هَذَا الْهَمِّ.

وَمِمَّا يَنْدَفِعُ بِهِ هَذَا الْهَمُّ: إِرْشَادُ الْعَارِفِينَ بِالطَّرِيقِ مِنْ شُيُوخِ الْعِلْمِ وَالتَّعْلِيمِ؛ الَّذِينَ رَكِبُوا بَرَّهُ وَبَحْرَهُ، وَعَرَفُوا سَهْلَهُ وَوَعْرَهُ.

فَلَا بَدَّ لِلطَّالِبِ مِنْ شَيْخٍ مُرْشِدٍ يُعَرِّفُهُ مَرَاحِلَ الطَّرِيقِ، وَمَنَازِلَ الْقَوْمِ وَمَوَارِدَ مَائِهِمْ. وَالْأَصْلُ فِي هَذَا: مَا أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي «سُنَنِهِ»؛ قَالَ: حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَعُثْمَانُ

ابن أبي شيبة، قال: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عن الأعمش، عن عبد الله بن عبد الله، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَسْمَعُونَ وَيُسْمَعُ مِنْكُمْ، وَيُسْمَعُ مِمَّنْ سَمِعَ مِنْكُمْ»، وإسناده قوي.

والعبرة بعموم الخطاب، لا بخصوص المخاطبين؛ فليس هذا محصوراً في الصحابة - رضوان الله عليهم -، بل لا يزال العلم في هذه الأمة موروثاً بتعاقب القرون، يأخذه الخالف عن السالف؛ كما ذكره الشاطبي في «الموافقات».

فإذا اتَّخَذَ الطَّالِبُ شيخاً عارفاً بالطريق أحسن هدايته إليه، وبَيَّنَّ سَهْلَهُ وَوَعْرَهُ، وَحَمَلَهُ عَلَى آمَنِهِ، وَبَاعَدَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَوَائِقِهِ.

وإذا انفرد الطالب بنفسه في السير، عَظُمَ عليه هذا الهمُّ، وَضَيَّعَ معالِمَ الطريق، فَفَاتَهُ من العلم أبوابٌ عِظَامٌ، وَلَحِقَهُ تَعَبٌ كَبِيرٌ.



هَمُّ صُعُوبَةِ الْعِلْمِ
الْهَمُّ الثَّالِثُ:

ولا ريب عند المؤمنين أَنَّ الأصل العظيم للعلم - وهو الوحي المبین الَّذِي جاء به
خيرُ المرسلين - سالمٌ من هذا؛ فالله يقول: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ

[القمر]. ١٧

وَأَوَّلَى الْعِلْمِ بِالْيُسْرِ: الْعِلْمُ الَّذِي يُلْزَمُ كُلُّ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ، وَهُوَ أَصْلُ الدِّينِ الَّذِي لَا يَكُونُ الْمَرْءُ مُسْلِمًا إِلَّا بِهِ، مِمَّا يَجِبُ عَلَيْهِ ابْتِدَاءً؛ مِنْ تَوْحِيدِ اللَّهِ، وَطَاعَةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَدَاءِ الْفَرَائِضِ، وَاجْتِنَابِ النَّوَاهِي.

وَتَأْمَلْ هَذَا فِي جَوَامِعِ الْكَلِمِ الْقُرْآنِيِّ وَالنَّبَوِيِّ، تُؤْنَسُ يُسْرَهُ، وَتَذُوقُ حَلَاوَتَهُ، وَإِنَّمَا

يصعب العلم إذا لم يُؤخذ كما ينبغي، ويُؤخذ كأخذ الجُهَّال.

وقد كان عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: «العلم نُقْطَةٌ كَثَرَهَا الْجَاهِلُونَ»، وإنَّما أراد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بهذه المقالة بيانَ يُسْرِ العلم وسهولته، وإنَّما العَيْبُ مِنْ جهالة الجاهِلين من الدَّالِّين عليه أو المُتكلِّمين فيه أو الصَّادِّين عنه.

ويُدْفَعُ هذا الدَّاءُ من الهمِّ:

○ بالبداة بالأهم من العلم.

○ والاقتصار على المتون الصَّغار المُصنَّفة في فنون العلم حِفْظًا واستشراحًا.

○ وترك التَّشَاغُل بمطالعة المُطَوَّلَات؛ لئلا تثقل على القلب.

وَمَنْ أَخَذَ بهذه الوصية مُشْتَغِلًا بالأهم فالهمم، أَخَذًا لذلك من المتون القصار؛ حُبَّ إليه العلم، وَيُسِّرَ له سبيله، وظَهَرَتْ له سهولته، وألِينَ له فيما يُستقبل صَعْبُهُ وَوَعْرُهُ.





مِمَّا يُفَرِّقُ النَّفْسَ وَيُذْهِبُ قُوَّتَهَا: الْحَيْرَةُ فَيَمْنُ يُهْتَدَى بِهِدَاهُ، وَيُؤْخَذُ بِإِرْشَادِهِ مِنْ الشُّيُوخِ؛ فَالْمُبْتَدِئُ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ يَرَى فِي كُلِّ التَّفَاتَةِ شَيْخًا لَمْ يَرَهُ مِنْ قَبْلُ، وَدَرَسًا لَمْ يَحْضُرْ فِي مِثْلِهِ قَطُّ.

وَمَنْ كَثُرَتِ التَّفَاتَةُ كَبُرَ عَلَيْهِ الْأَمْرُ وَثَقُلَ؛ فَلَا يَعْلَمُ أَيُّ هَؤُلَاءِ عَلَيْهِ يُقْبَلُ، وَلَا مِنْ أَيِّهِمْ إِرْشَادًا وَنُصْحًا يَقْبَلُ.

وَيُضَاعَفُ هَمُّهُ إِذَا سَمِعَ مِنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ وَصْفًا لَطِيقَ الْعِلْمِ لَمْ يَصِفْهُ بِهِ الْآخَرُ؛ فَيَتَفَرَّقُ بِهَذَا الْهَمِّ شَمْلُهُ، وَيَتَشَتَّتَ عَمَلُهُ وَقُوَّتُهُ.

وَكَثْرَةُ الْمُتَصَدِّينَ وَالْمُفِيدِينَ مِنْ شُيُوخِ الْعِلْمِ وَالِدِّينَ مِمَّا يُحْمَدُ وَيُمَدَحُ، لَكِنْ إِنْ لَمْ يُعْرِفِ الطَّالِبُ بِسَبِيلِ الْإِسْتِفَادَةِ مِنْهُمْ أَضَرَّ ذَلِكَ بِهِ.

وَالشُّيُوخُ مُتَفَاوِتُونَ فِي اكْتِمَالِ أَوْصَافِ الْأَهْلِيَّةِ فِي التَّعْلِيمِ وَالتَّزَكِّيَّةِ، وَمَنْ اجْتَمَعَتْ فِيهِ صِفَاتُ الْكِمَالِ كَانَ أَوْلَى مِنْ غَيْرِهِ.

وترجع كمالات الشُّيُوخِ إلى أصليْن:

- أولُهما: الإِفَادَةُ؛ وَهِيَ الْأَهْلِيَّةُ فِي الْعِلْمِ؛ فَيَكُونُ مِمَّنْ عُرِفَ بِطَلَبِ الْعِلْمِ وَتَلَقِّيهِ؛ حَتَّى أَدْرَكَ فَصَارَتْ لَهُ مَلَكَةٌ قَوِيَّةٌ فِيهِ.

• وثانيهما: النَّصِيحَةُ؛ وهي صلاحيةُ حالِ الشَّيْخِ للاقتداءِ والاهتداء، ومعرفةُ بطرائقِ التَّعْلِيمِ لِيُوصِلَهُ إِلَى الْمُتَعَلِّمِ.

وَيَتَفَقَّدُ الطَّالِبُ هَذِهِ الْكَمَالَاتِ فِي الشُّيُوخِ، وَيَحْرُسُ عَلَى مِلَاحِظَةِ أَحْوَالِهِمْ، وَيُشَاوِرُ أَهْلَ النَّصْحِ فِيهِمْ، وَيَصْبِرُ فِي انْتِخَابِ مَنْ يَصْلِحُ لِلطَّلَبِ مِنْهُمْ.

وَمِمَّا يَنْبَغِي مِلَاحِظَتُهُ: أَنَّ وَجُودَ هَذِهِ الْكَمَالَاتِ مَعَ كِبَرِ السِّنِّ أَحَرَى؛ فَالْبَرَكَةُ مَعَ الْأَكَابِرِ. وَلَهُمْ مَعَ طُولِ الْمُدَّةِ، وَرَسُوخِ الْعِلْمِ، وَكَمَالِ الْفَهْمِ، وَاسْتِقَامَةِ النَّفْسِ، وَصَلَاحِ الدِّينِ، وَالْمَيْلِ عَنِ الدُّنْيَا، وَمُبَاعَدَةِ أَسْبَابِ الشَّرِّ؛ بِخِلَافِ غَيْرِهِمْ مِنَ الشَّبَابِ.





إنَّ ازدهام العلوم في السَّمْعِ يُضَيِّعُ الفَهْمَ؛ فَإِنَّ للقلبِ قُوَّةَ كَقُوَّةِ البدنِ، واحتماله للعلوم هو على قَدَرِ قُوَّتِهِ؛ فَإِنْ كان القلبُ قَوِيًّا احْتَمَلَ العلومَ وازدهامها، وإِلَّا عَجَزَ عنها.

والطُّلابُ المُبتدئون والمتوسِّطون لا يَجِدُونَ قُوَّةَ كافِيَةً لِحَمْلِ العلومِ المتنوعةِ في آنٍ واحدٍ.

والمَخْرَجُ من هذا الهمُّ: هو جَمْعُ قُوَّةِ النَّفْسِ على مطلوبٍ واحدٍ، ومنه: الاكتفاء بدراسة مَتْنٍ واحدٍ، يأخذه الطَّالِبُ عن شيخه.

وقد ذَكَرَ الزَّيْدِيُّ في «شَرْحِ الإحياء» عن صاحبِ كتابِ «الدَّرِيعة» في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ [البقرة: ١٢١] قال: (أي لا يتجاوزون فَنًّا حَتَّى يُحْكِمُوهُ عِلْمًا وَعَمَلًا؛ فيجب أَنْ يُقَدَّمَ الْأَهَمُّ فالْأَهَمُّ، من غيرِ إخلالٍ بالترتيب). اهـ.

وَمِنَ الشُّعْرِ الحَسَنِ المشهورِ في شَنْقِيطٍ: قولُ أحدهم:

وَأِنْ تُرِدْ تَحْصِيلَ فَنٍّ تَمِّمَهُ وَعَنْ سِوَاهُ قَبْلَ الْإِنْتِهَاءِ مَهْ
وَفِي تَرَادُفِ الْعُلُومِ الْمَنْعُ جَا إِنَّ تَوَاقُفَ اسْتِيقَالِنِ يَخْرُجَا

وسبيل السلامة من هذا الهمّ: انتخاب كُتُب البداية التي يُستفتح بها العلم، والمُبادرة إلى حفظ مبانيها، وفهم معانيها، واحدًا واحدًا، بالتلقّي عن الشيوخ، ويُعتدُّ في كلِّ قطرٍ بما جرى عليه عمل أهله.

وقد درجت عادة أهل هذا القطر على الابتداء بجملةٍ من الكُتب؛ كـ «ثلاثة الأصول»، و«القواعد الأربع»، و«كتاب التوحيد»، و«كشف الشبهات»، و«شروط الصلاة»، و«الأربعين النووية»، و«العقيدة الواسطية»، و«نخبة الفكر»، و«الورقات»، و«مقدمة التفسير»، و«الآجرامية»، و«الرحبية»، و«بلوغ المرام»، و«زاد المستقنع».

فيقصدُ طالبُ العلم إليها حفظًا واستشراحًا، وسيجد عقب ذلك قوّةً قلبيّةً يقدر بها على تنويع العلوم والمعارف، وتكثير الشيوخ والمُعَلِّمين.

والحرّيُّ بقاصد الفائدة: الاجتهاد في تلمّس الجادة الهادية إلى أخذ أصول العلم، والبحث عن الشيوخ الذين يقرأ عليهم بنفسه ويتدرّج في تعلّمه، ويحرص على الأكابر منهم في السنن والعلم؛ فإنَّ الأخذَ عنهم أنفعُ، والبركة فيهم أكثرُ.





إِنَّ انتشار الدُّروس إعلاءً للشَّريعة، وإظهاراً لمعالمِها، ورفْعاً لِلوِثائِها، وعِزَّةً لِأهلِها، وفي ذلك من البركاتِ: تنزُّلُ السَّكينة، وغشيانُ الرَّحمة، وحَفُّ الملائكة، وذِكْرُ الله لهم فيمَن عنده.

فالحمد لله الَّذي جَعَلَ هذه البلاد دار توحيدٍ لا دار شِرْكٍ، ودارَ سُنَّةٍ لا دار بدعةٍ، ودارَ عِلْمٍ لا دار جهلٍ، وحَفِظَ عليها إيمانَها وأمنَها، وسَدَّدَ علماءها ووُلاتَها، ووفَّقهم لِمَا فيه خيرها.

وقد ينتج لِأحاد المتعلِّمين مِن كثرة الدُّروس همٌّ عظيمٌ، وهو تعارضُها؛ فنفسُ المتعلِّم تتوقُّ لحضورِ درسٍ في التفسير، ويُنازِعُها حُبُّ دَرَسِ الفقه، غير أنَّها لا تستطيع الجَمع بين هذا وهذا؛ لوقوعِهما في زمنٍ واحدٍ.

فيظلُّ المُتعلِّمُ مُشَوَّشَ الخاطر في هذه الوارداتِ، يحضُر طَوَّراً هنا، ويحضُر طَوَّراً هناك، ويترك هذا الدرسَ لأجل ذاك الدرسِ، ويَضِيعُ عليه بهذا الهمُّ عِلْمٌ جَمٌّ.

ولِدْفَعِ هذا الهمِّ:

○ ينبغي على المُتعلِّم أن يُعوِّدَ نفسَه الثَّباتَ على المقصود، فَإِنَّ مَنْ ثَبَّتَ نَبْتَ.

○ ويُلزِمُ نفسَه السَّيرَ على ما مضى رَسْمُهُ.

○ ويُقرَّرُ فيها بأنَّ ما عَرَضَ له مِنْ دَرَسٍ جَدِيدٍ يُمْكِنُ اسْتِدْرَاكُهُ بَعْدَ انْقِضَاءِ الدَّرْسِ

الحَالِي، إمَّا بِالِاسْتِفَادَةِ مِنَ الْأَشْرَاطِ الصَّوْتِيَّةِ، أَوِ الْمَذَكِّرَاتِ الْقَلَمِيَّةِ لِلدَّرْسِ.

○ كما أَنَّهُ يُمْكِنُهُ أَيْضًا قِرَاءَةُ الْكِتَابِ الَّذِي قُرِئَ فِي الدَّرْسِ الْجَدِيدِ عَلَى شَيْخٍ آخَرَ.

وَمَنْ أَلْزَمَ نَفْسَهُ بِمَا التَزَمْتُ، وَحَمَلَهَا عَلَى مَا لَهُ ابْتَدَأْتُ؛ صَارَ قَائِدًا لَهَا، مُحْسِنًا لِسِيَاسَتِهَا، وَمَنْ اضْطَرَبَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ جَرَّتْهُ يَمَنَةٌ وَيَسْرَةٌ، وَالْعَزْمُ مَعَ الْحَزْمِ؛ فَالْحَازِمُ فِي تَدْبِيرِ أَمْرِهِ يُعَانِ بِمَضَاءِ عَزْمِهِ؛ فَكُنْ حَازِمًا ذَا عَزِيمَةٍ.

إِذَا كُنْتَ ذَا رَأْيٍ فَكُنْ ذَا عَزِيمَةٍ فَإِنَّ فَسَادَ الرَّأْيِ أَنْ تَتَرَدَّدَا





إِنَّ الْعِلْمَ يُدْرَكُ بِأَعْمَالٍ قُوتَيْنِ اثْنَتَيْنِ:

• أُولَاهُمَا: قُوَّةُ الْحِفْظِ.

• وَثَانِيَهُمَا: قُوَّةُ الْفَهْمِ.

وَرَأَيْتُ الْعِلْمَ لَا يُدْرَكُهُ إِلَّا بِاسْتِعْمَالِهِمَا؛ فَيَنْشِطُ ذَاكِرَتَهُ حِفْظًا وَفَهْمًا عَلَى حَدٍّ سَوَاءٍ.

وَمَنْ ظَنَّ أَنَّ الْعِلْمَ يُنَالُ بِهَذَا دُونَ ذَلِكَ، فَقَدْ خَالَفَ الْأَدْلَةَ الشَّرْعِيَّةَ وَالْبَرَاهِينَ الْقَدَرِيَّةَ.

وَرُؤُودُ الْعِلْمِ يُدْرِكُونَ هَذَا إجمالاً، وَيَجْتَهِدُونَ فِي الْحِفْظِ وَالْفَهْمِ، لَكِنَّهُمْ يَلْقَوْنَ هَمًّا

فِي الْمَحْفُوظِ: أَيُّ شَيْءٍ يُحْفَظُ؟ وَكَيْفَ يَبْقَى؟ وَيَلْقَوْنَ هَمًّا فِي الْمَفْهُومِ: أَيُّ شَيْءٍ يُفْهَمُ؟

وَكَيْفَ يَبْقَى؟

وإزالة هذين الهمَّين المُتَلَاذِمَيْنِ يَكُونُ بِإِدْرَاكِ ثَلَاثَةِ أَصُولٍ:

✓ **أَوَّلُهَا:** معرفة المحفوظات اللازمة لطالب العلم؛ الَّتِي يَجْعَلُ فِيهَا قُوَّتَهُ.

✓ **وِثَانِيَهَا:** معرفة المفهومات اللازمة له.

✓ **وِثَالِثُهَا:** معرفة السَّبِيلِ إِلَى بَقَاءِ الْمَحْفُوظَاتِ وَثَبَاتِ الْمَفْهُومَاتِ.

* **فَأَمَّا الْمَحْفُوظُ اللَّازِمُ لَكَ:** فَعِمَادُهُ الْمَتُونُ الَّتِي دَرَجَ النَّاسُ فِي بِلَدِكَ عَلَى تَلَقِّيِّهَا،

وَقَدْ ذَكَرَ فِيمَا مَضَى أَنَّ أَهْلَ هَذِهِ الْبِلَادِ دَرَجُوا عَلَى تَلَقِّيِّ مَتُونٍ مُعَيَّنَةٍ سَمَّيْنَاهَا.

* وَأَمَّا الْمَفْهُومُ اللَّازِمُ لَكَ: فَلَا يَخْرُجُ فِي الْغَالِبِ عَنْ قِرَاءَةِ هَذِهِ الْمَتُونِ عَلَى الشُّيُوخِ وَفَهْمِ مَعَانِيهَا.

وَكُلُُّ مِنْهُمَا يَقُومُ عَلَى قَوَاعِدَ يَضِيقُ الْمَجْلِسُ عَنْ سَرْدِهَا.

* أَمَّا السَّبِيلُ إِلَى بَقَاءِ الْمَحْفُوظِ وَثَبَاتِ الْمَفْهُومِ: فَمَرَدُّهُ إِلَى تَعَاهُدِ الْعِلْمِ وَمُذَاكِرَتِهِ، وَتَعْيِينِ وَقْتٍ لِمَرَاجَعَةِ الْمَحْفُوظِ وَالْمَفْهُومِ.

وَقَدْ أَمَرْنَا بِتَعَاهُدِ الْقُرْآنِ الَّذِي هُوَ أَصْلُ الْعُلُومِ وَأَسْهَلُهَا، فَكَيْفَ بغيره؟!

قال الزُّهْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: «إِنَّمَا يُذْهِبُ الْعِلْمَ: النِّسْيَانُ، وَتَرَكَ الْمَذَاكِرَةَ».





من هموم طلب العلم: طول مُدَّتِه.

وَمَنْ اسْتَطَالَ الطَّرِيقَ ضَعُفَ مَشْيُهُ، وَانْقَطَعَتْ بِهِ السَّبِيلُ دُونَ بُلُوغِ قَصْدِهِ.

وَيُزْحِزِحُ هَذَا الِهِمُّ عَنِ النَّفْسِ: بِتَعْرِيفِهَا بِعِبُودِيَّةِ الْعِلْمِ.

فَإِنَّ طَلَبَ الْعِلْمِ عِبَادَةٌ، وَالزِّيَادَةُ فِيهِ خَيْرُ زِيَادَةٍ؛ لِمَا يُثْمِرُ مِنْ سَعَادَةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛
فَإِنَّ كُلَّ خَيْرٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَهُوَ ثَمَرَةٌ مِنْ ثِمَارِ الْعِلْمِ، وَكُلُّ شَرٍّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَهُوَ
طَلْعٌ مِنْ طَلْعِ الْجَهْلِ.

وَأَوَّلُ دَفْعٍ لِهَذَا الِهِمِّ: عِلْمُكَ بِأَنَّكَ تَتَرَبَّعُ فِي ظِلَالِ عِبُودِيَّةٍ مِنْ عِبُودِيَّاتِ الْخَوَاصِّ؛
الَّذِينَ اصْطَفَاهُمُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ لِحِفْظِ دِينِهِ، وَنُصْرَةِ شَرْعِهِ؛ فَإِنَّ نَوْرَ هَذِهِ الْعِبُودِيَّةِ يَدْفَعُ ظُلْمَةَ
هَذَا الِهِمِّ.

وَإِذَا اشْتَغَلَ النَّاسُ بِدُنْيَاهُمْ؛ فَيَا حَبَّذَا حَالِ مَنْ اشْتَغَلَ بِعِبُودِيَّةِ اللَّهِ بِالْعِلْمِ.

ثُمَّ لَتَعْلَمَنَّ أَنَّ الْعِلْمَ لَا يُؤْخَذُ جَمْلَةً وَاحِدَةً، بَلْ يُؤْخَذُ بِالْأَيَّامِ وَاللَّيَالِي، وَاللَّهُ عَزَّوَجَلَّ
يَقُولُ: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾

[الكهف: ٢٨].

وفوق هذا: أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ حَقِيقَةَ الْعِلْمِ الْمَأْخُودَةُ عَنِ الشُّيُوخِ لَيْسَتْ هِيَ الْمَسَائِلُ - كَمَا يَظُنُّه أَكْثَرُ الْمُتَعَلِّمِينَ -، بَلْ هِيَ الدِّينُ كُلُّهُ؛ فَتَحْتَاجُ إِلَى طَوْلِ الصُّحْبَةِ؛ لِتَطَّلَعَ عَلَى سَمْتِ الشَّيْخِ وَهَدْيِهِ، وَتَعْرِفَ طَرِيقَتَهُ فِي هِدَايَةِ النَّاسِ وَتَعْلِيمِهِمْ، وَفَضْلِ خُصُومَاتِهِمْ، وَالتَّأَلُّفِ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ، وَالتَّعَامُلِ مَعَ النَّوَازِلِ وَالْقَوَارِعِ الْمُفْجِعَةِ؛ وَهَذَا لَا يُدْرِكُ إِلَّا بِطُولِ الصُّحْبَةِ.

وَلَمَّا عَقَلَ السَّلَفُ رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْمَدَارِكَ فِي صُحْبَةِ الشُّيُوخِ، طَالَ عُكُوفُهُمُ الرُّكْبَ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ.

قَالَ مَالِكٌ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: «كَانَ الرَّجُلُ يَخْتَلِفُ إِلَى الرَّجُلِ ثَلَاثِينَ سَنَةً يَتَعَلَّمُ مِنْهُ الْعِلْمَ».

وَسُئِلَ الطَّبْرَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - صَاحِبُ «الْمَعَاجِمِ» - بِمَ أَدْرَكَتَ الْعِلْمَ؟ فَقَالَ: «بِالْجُلُوسِ ثَلَاثِينَ سَنَةً عَلَى الْبَوَارِي»؛ يَعْنِي عَلَى الْحُضُرِ وَالْبُسْطِ.

وَقَالَ يَعْقُوبُ بْنُ سَفْيَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: «رَحَلْتُ فِي الْعِلْمِ ثَلَاثِينَ سَنَةً».

وَرَأَيْتُ فِي تَرْكِيزٍ صَادِرَةٍ مِنَ الْعَلَّامَةِ مُحَمَّدَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ آلِ الشَّيْخِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى لِشَيْخِنَا مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ آلِ الشَّيْخِ، يَذْكُرُ فِيهَا أَنَّهُ قَرَأَ عَلَيْهِ فِي الْفَقْهِ وَالْحَدِيثِ وَالتَّفْسِيرِ وَالْعَقِيدَةِ وَغَيْرِهَا خَمْسًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً.





مِمَّا تضيق به صدور المتعلِّمين: تأخُّر ظهور آثار العلم الذَّهنيَّة والعَمليَّة؛ فإنَّ المتعلِّم يرجع إلى نفسه بعد مُدَّةٍ مِنْ طَلَبه ليرى آثار العلم فيها؛ فلا يكاد يجد شيئاً، فيضيق صدره.

وليس لضيق الصِّدر هنا محلٌّ؛ لأنَّ السَّنينَ الأولى من الطَّلَب تكون بمنزلة تهيئة القلب للعلم حتَّى يقبله ويرسخ فيه.

ونظير هذه الحال: حال الزُّراع؛ الذين يبقى أحدهم مُدَّةً قبل بُدُو آثار زرعِه، يُمضيها في قلب الأَرْض، وقطع حشائشها، وتهيئتها لِمَا يزرعه فيها، ثُمَّ يَنْذر بذره، ويتعهده بالسُّقيا حتَّى يقوم على سُوقه.

فلا بُدَّ من مُضيِّ وقتٍ في بواكير الطَّلَب لاستصلاح القلب وتهيئته لِحَمَل العلم؛ حتَّى إذا فُرغ من هذه الحال ظهرت الآثارُ الذَّهنيَّة للعلم، فأنس الطالبُ قَدْر ما حَصَلَ.

أما الآثار العَمليَّة: فهي مرهونةٌ بزيادة الخشية؛ لأنَّ الخشية تُورث صلاح الحال وحُسن الأعمال، وتحصيلُ الخشية لا يَنْتُج من طلبٍ سريعٍ للعلم، بل لا بُدَّ من مُدَّة طويلة تُدرِك بها الأحكام الشرعيَّة، وتطلَّع على المقاصد الحكميَّة، وتشرُف نفسُك على أحوال كُمل البريَّة.

وَبُدُّوا هَذِهِ الْأَثَارَ يَكُونُ مَعَ طَوْلِ الْمُدَّةِ بِرِعايَةِ شَيْئَيْنِ:

- أَحَدُهُمَا: تَحْلِيَةُ الْقَلْبِ مِنْ عِلَلِهِ وَأَمْرَاضِهِ؛ بِنَزْعِ مَا فِيهِ مِنْ غَرَسِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَقَلْعِ
أَسْبَابِ فُسَادِهِ.

- وَالْآخَرُ: تَحْلِيَةُ الْقَلْبِ بِالْفَضَائِلِ وَالْكَمَالَاتِ؛ الَّتِي تُقَوِّي إِيمَانَهُ وَتُرْسِّخُ يَقِينَهُ.
وَدَوَامِ الْمَجَاهِدَةِ فِي الْأَمْرَيْنِ، يَبْلُغُ بِهِ الْعَبْدُ ذَوْقَ حُلَاوَةِ الْإِيمَانِ الْمُحَازَةِ بِالْعِلْمِ،
وَيَرَى مِنْ نَفْسِهِ انْكَسَارًا، وَخَشْيَةً، وَمَحَبَّةً لِلَّهِ، وَأُنْسًا بِمَنَاجَاتِهِ، فَلَا تَظَنَّ أَنَّكَ تَصِيرُ عَابِدًا
خَاشِعًا بَطَلِبِ الْعِلْمِ سَنَةً أَوْ سَنَتَيْنِ.





إِنَّ الْكُتُبَ صِنَادِيقُ الْعِلْمِ وَخَزَائِنُهُ، وَنَفْسُ الْمُتَعَلِّمِ مَشْغُوفَةٌ بِحُبِّهَا، وَتَكَاثُرُهَا عَلَيْهِ
كَتَكَاثِرِ الظُّبَاءِ عَلَى خِرَاشٍ:

تَكَاثَرَتِ الظُّبَاءُ عَلَى خِرَاشٍ فَمَا يَدْرِي خِرَاشٌ مَا يَصِيدُ
وَيَتَوَلَّدُ مِنْ هَذِهِ الْكَثْرَةِ حَيْرَةٌ مُفْزِعَةٌ، يَتَبَلَّلُ بِهَا خَاطِرُهُ، فَإِذَا اشْتَرَى كِتَابًا نَدِمَ عَلَى
تَرْكِ ثَانٍ، وَإِذَا أَرَادَ شِرَاءَ الْجَمِيعِ مَنَعَتْهُ قِلَّةُ ذَاتِ يَدِهِ؛ فَرَكِبَهُ الْهَمُّ وَعَلَاهُ.
وَيُخَلِّصُ النَّفْسَ مِنْ هَذَا الْهَمِّ: مَعْرِفَةُ السِّيَاسَةِ النَّافِعَةِ فِي جَمْعِ الْكُتُبِ، بِتَدْرِيجِ ذَلِكَ
عَلَى أَصُولٍ:

أَوَّلُهَا: الْإِعْتِنَاءُ بِتَحْصِيلِ الْمُتَوَنِّاتِ الَّتِي تُقْرَأُ عَلَى الشُّيُوخِ وَمُهِمَّاتِ شُرُوحِهَا، فَيَجْعَلُ
مَالَهُ ابْتِدَاءً فِيهَا.

وِثَانِيهَا: تَحْصِيلُ الْأُصُولِ الْمَهْمَةِ مِنْ كُتُبِ الْأُمَّةِ؛ كـ «الصَّحِيحِينَ»، و«زَادَ الْمُعَادَ»،
و«تَفْسِيرِ ابْنِ كَثِيرٍ»، و«الْبَدَايَةِ وَالنِّهَايَةِ».

وِثَالِثُهَا: حِيَازَةُ مُهِمَّاتِ الْكُتُبِ بَعْدَ الْأُصُولِ، مُقَدِّمًا الْأَهَمَّ فَالْمَهَمَّ.

وِرَابِعُهَا: تَرْتِيبُ شِرَاءِ الْكُتُبِ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى الْعُلُومِ؛ بِحَيْثُ يَجْعَلُ مُدَّةً تَبْلُغُ سَنَةً أَوْ

سِتَّةَ أَشْهُرٍ - حَسَبَ مَا يُنْفَقُ فِي الْكُتُبِ - لِشِرَاءِ كُتُبِ عِلْمٍ مُعَيَّنٍ، ثُمَّ يَشْتَرِي فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ كُتُبَ عِلْمٍ آخَرَ، وَهَكَذَا حَتَّى يَكْتَمِلَ عَدُّ الْعُلُومِ.

وإقامة هذه الأصول يحتاج إلى نحو عَشْرِ سِنِينَ، يَصُلُّ بَعْدَهَا الْمُتَعَلِّمُ إِلَى الْاِكْتِفَاءِ بِشِرَاءِ مَا يَرَاهُ نَافِعًا مِنَ الْكُتُبِ الَّتِي تَصْدُرُ حَدِيثًا؛ لِأَنَّ قِوَامَ مَكْتَبَتِهِ قَدْ وُجِدَ.

وَقَدْ كَتَبَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْعَصْرِ فِي تَعْيِينِ الْكُتُبِ اللَّازِمَةِ لَطَالِبِ الْعِلْمِ، فَيُسْتَفَادُ مِمَّا كَتَبُوا.

وَيَحْسُنُ التَّذْكِيرُ بِأَمْرَيْنِ:

* أَحَدُهُمَا: الْإِهْتِمَامُ بِوَضْعِ قَدْرٍ مُعَيَّنٍ مِنْ مَصْرُوفٍ مَالِهِ فِي شَهْرِهِ لِشِرَاءِ الْكُتُبِ، قَلَّ أَمْ كَثُرَ، وَإِيَّاكَ وَاسْتِكْثَارَ مَالٍ تُنْفِقُهُ فِي شِرَاءِ الْكُتُبِ، وَاسْتِفَادَ مِنْ ارْتِيَادِ مَعَارِضِ الْكُتُبِ الْمَخْفُضَةِ، وَتَرَدَّدَ إِلَى الدُّورِ الَّتِي يُعْرِفُ اعْتِدَالُ أَثْمَانِ الْكُتُبِ فِيهَا.

* وَالْآخَرُ: عَدَمُ الْجَرِيِّ وَرَاءَ كُلِّ كِتَابٍ جَدِيدٍ يَصْدُرُ، فَرَبَّمَا جَرَّ تَتَبَعَ الْجَدِيدِ إِلَى إِهْمَالِ الْقَدِيمِ الْمُفِيدِ، بَلْ يَحْرِصُ الْمُتَعَلِّمُ فِي أَوَائِلِ جَمْعِ الْكُتُبِ عَلَى عَدَمِ النَّزْعِ إِلَى شِرَاءِ كِتَابٍ صَدَرَ حَدِيثًا؛ إِلَّا إِنْ كَانَ كِتَابًا يُمَثِّلُ شَرْحًا لِمَتْنٍ يَدْرُسُهُ، أَوْ كِتَابًا مِنَ الْأَصُولِ الْمَهْمَّاتِ.

وَلَا يَكْمُلُ دَفْعُ هَذَا الْهَمِّ حَتَّى يَعْرِفَ الْمُتَعَلِّمُ بَأَنَّ مِمَّا يَلْزَمُهُ: الْاعْتِنَاءُ بِاِقْتِنَاءِ الطَّبَعَاتِ الْمَعْتَمَدَةِ لِمَا يَشْتَرِيهِ مِنَ الْكُتُبِ؛ لئَلَّا يَضْطَرَّ إِلَى شِرَاءِ نَسْخَةٍ أَوْ أَكْثَرَ لِكِتَابٍ وَاحِدٍ، وَيَتَعَرَّفَ جِيَادَ النَّسْخِ بِسُؤَالِ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ وَالنُّصْحِ مِنَ الشُّيُوخِ.

وَلَا بُدَّ عِنْدَ شِرَاءِ الْكِتَابِ مِنَ الْإِنْتِبَاهِ إِلَى شَيْئَيْنِ:

* أحدهما: أن يكون ذلك الكتاب الذي اشتريته هو الكتاب الذي تبحث عنه وتسعى إليه.

* والآخر: كونه سليماً من آفات النّشر؛ كالتمزّق، والبياض، والطّمس، فتصفّحه قبل شرائه لتعرف أمره.





مِمَّا يُقْضَى مَضَاجِعُ الْمُتَعَلِّمِينَ: مَا يَقَعُ فِي نُفُوسِهِمْ مِنْ هِمِّ التَّعَارُضِ بَيْنَ الدِّرَاسَةِ النَّظَامِيَّةِ فِي كَلِيَّةٍ أَوْ مَدْرَسَةٍ، وَبَيْنَ تَحْصِيلِ الْعِلْمِ عَلَى الْمَشَايخِ فِي رِيَاضِ الْجَنَّةِ بِالمَسَاجِدِ.

وَتَتَنَوَّعُ مَسَالِكُهُمْ فِي دَفْعِ هَذَا الْهِمِّ:

- فَتَجِدُ فِي صُفُوفِهِمْ مَنْ يَجْمَعُ نَفْسَهُ عَلَى هِمِّ الطَّلَبِ عِنْدَ الْمَشَايخِ، مُهِمِلًا دِرَاسَتَهُ النَّظَامِيَّةَ.

- وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْكِسُ الْقَضِيَّةَ.

- وَمِنْهُمْ مَنْ يُحَوِّلُ دِرَاسَتَهُ النَّظَامِيَّةَ إِلَى الْإِنْتِسَابِ؛ لِيَتَفَرَّغَ لَطَلَبِ الْعِلْمِ.

- وَمِنْهُمْ مَنْ يَتْرِكُ الدِّرَاسَةَ النَّظَامِيَّةَ؛ حِرْصًا عَلَى عَدَمِ الْإِنْشَغَالِ بِهَا.

وَقَدْ يَجِدُ هَؤُلَاءُ لَهُمْ عُذْرًا فِيمَا فَعَلُوا.

لَكِنَّ الَّذِي تُوجِبُهُ النَّصِيحَةُ فِي الدِّينِ خِلَافُ ذَلِكَ كُلِّهِ.

بَلْ دَفْعُ هَذَا الْهِمِّ: يَكُونُ بِالمُلَائِمَةِ الْحَسَنَةِ بَيْنَ النَّوعَيْنِ مِنَ الدِّرَاسَةِ، مُلَاءِمَةً لَا تُفَوِّتُ الْفَائِدَةَ مِنْهُمَا.

وَمِنْ طَرَائِقِ ذَلِكَ: الْإِهْتِمَامُ بِالدِّرَاسَةِ النَّظَامِيَّةِ مَعَ الدِّرَاسَةِ عَلَى الشُّيُوخِ، دُونَ إِكْثَارِ

من الثاني في أثناء الدراسة النظامية؛ حتّى إذا جاءت الإجازة الصيفية - أو غيرها من الإجازات - جمع الطالب همته على القراءة على الشيوخ.

كما أنّ في ثنّيا السنّة الدراسية أوقات يمكن الاستفادة منها في بذل جهد أكبر للدراسة على الشيوخ؛ كأول السنّة، كما أنّ هناك أوقات لا يحسن الإقبال فيها عليهم؛ كأيّام الامتحانات؛ خشية أن يلحقه ضرر بإهمال دراسته النظامية.

ومن الدراسات النظامية في بلادنا - بحمد الله - ما يكون عوناً على تحصيل العلم؛ كمن هيا الله له الدراسة في كُليّة أو معهد شرعيّ، فلا ينبغي أن يتمادى في إهمال مقرّرات دراسته، بل سينتفع بها - بإذن الله عزّ وجلّ - في جمع العلوم.

وأما المشغولون طول عامهم بدراسات شاقّة من المعارف الإنسانية كالطّبّ - مثلاً -
- فلهم مُتنفّسان اثنان:

- أحدهما: الإجازات الدراسية.
- والآخر: الحياة العملية عقب التّخرّج.

بل يُمكن إرجاء بعض العلم لدراسته - لمنهوم فيه - بعد تقاعده من حياته العملية، كما فعل ابن الجوزي رحمه الله تعالى؛ فإنّه لم يأخذ علم القراءات إلّا في آخر عمره، وقد جاوز الثمانين.





إِنَّ دَقَائِقَ الْعَمْرِ مَعَ ازْدِحَامِ الْحَيَاةِ بِأَنْوَاعِ الْمُشْغَلَاتِ بَاتَتْ ضَيِّقَةً لَدَى كَثِيرِينَ عَنِ الْوَفَاءِ بِمَا هُمْ مُطَالِبُونَ بِهِ شَرْعًا أَوْ قَدَرًا، فَالْمَرْءُ مُحْكَمٌ بِمَطَالِبِ شَرْعِيَّةٍ؛ كَ (بِرِّ وَالِدِيهِ، وَصِلَةِ أَرْحَامِهِ، وَإِصْلَاحِ زَوْجِهِ، وَتَهْذِيبِ ذُرِّيَّتِهِ)، وَمَطَالِبِ قَدَرِيَّةٍ؛ كَ (حِفْظِ صِحَّتِهِ، وَرِعَايَةِ قُوَّتِهِ، وَصَيَانَةِ نَفْسِهِ).

وَمَنْ يَطْلُبُ الْعِلْمَ - فَضْلًا عَنِ الْمُوْغِلِ فِيهِ - يَلْقَى عَنَاءً فِي تَقْفُرِ الْعِلْمِ وَتَحْصِيلِهِ، مَعَ الْوَفَاءِ بِمَا يُلْزِمُهُ، فَرَبَّمَا أَخْلَ بِشَيْءٍ مِمَّا سَبَقَ مِنَ الْمَطَالِبِ، ... ^(١) وَيَسْتَوْلِي الْهَمُّ عَلَيْهِ لِقَاءَ تَقْصِيرِهِ.

والعروة الوثقى:

○ إدراكه أولاً أَنَّ هذه حقوقٌ لازمةٌ لا بُدَّ مِنَ الْوَفَاءِ بِهَا، فَإِنَّ لِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلَأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلَوْلَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِجَارِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ.

○ ثُمَّ لِيُرْتَّبِ تلكَ الحقوقُ؛ مُبْتَدَأًا بِالْأَوَّلَى مِنْهَا، ثُمَّ الَّذِي يَلِيهِ، ثُمَّ الَّذِي يَلِيهِ، مَعَ تَنْظِيمِ وَقْتِهِ لِإِعْطَاءِ كُلِّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ.

(١) قَطْعٌ فِي التَّسْجِيلِ.

فَمَنْ عَرَفَ الْحُقُوقَ اللَّازِمَةَ، وَاطَّلَعَ عَلَى مَرَاتِبِهَا، وَنَظَّمَ وَقْتَهُ لِلْوَفَاءِ بِهَا؛ انْدَفَعَ عَنْهُ هَذَا الِهَمُّ.

وَأَكْبَرَ سَبَبٍ لَضِياعِ هَذِهِ الْحُقُوقِ: عَدَمُ تَنْظِيمِ الْوَقْتِ وَحِفْظِهِ، وَهَذِهِ عِلَّةٌ عَمَّتْ أَهْلَ الْإِسْلَامِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ، فَلَا يَعْرِفُونَ لِلْوَقْتِ قِيَمَةً، وَلَا يَرْعَوْنَ لَهُ حُرْمَةً، بَلْ أُمُورُهُمْ خَبَطُ عَشَوَاءَ، وَلَأَجَلَ هَذَا تَضَيُّقُ الْأَوْقَاتِ عَنِ الْمَتَطَلِّبَاتِ.

وَيَسْتَعِينُ الْمُتَعَلِّمُ عَلَى ذَلِكَ بِدُعَاءِ اللَّهِ أَنْ يَبَارِكَ لَهُ فِي وَقْتِهِ وَبَدَنِهِ، وَأَنْ يُمِدَّهُ بِالْقُوَّةِ لِلْوَفَاءِ بِمَا لَزِمَهُ.





إِنَّ الدَّعْوَةَ إِلَى اللَّهِ أَحْسَنُ الْأَقْوَالِ، وَأَكْمَلُ الْأَعْمَالِ؛ كَمَا قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٢٢) [فُصِّلَتْ].

ومفتاحها: العلم والبصيرة في الدين؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَنَ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١٠٨) [يُوسُف].

والمُتَعَلِّمُ سَاعٍ لِتَحْصِيلِ الْمِفْتَاحِ، لَكِنَّهُ قَدْ يَجِدُ مِنْ نَفْسِهِ - بِسَبَبِ تَبَعِهِ لِلْعِلْمِ وَأَخْذِهِ لَهُ - بُعْدًا عَنْ دَعْوَةِ النَّاسِ وَإِصْلَاحِهِمْ، فَيُدْرِكُهُ الْهَمُّ، وَلَعَلَّ الْهَمَّ أَنْ يَتِمَادَى بِهِ حَتَّى يَدْفَعَهُ إِلَى تَرْكِ الطَّلَبِ؛ سَعْيًا إِلَى إِصْلَاحِ أَحْوَالِ النَّاسِ.

وإزالة هذا الْهَمِّ مِيسُورَةٌ - بِحَمْدِ اللَّهِ -: بِأَنْ تَعْلَمَ أَنَّ الْمُشْتَغِلَ بِالْعِلْمِ هُوَ دَاعٍ إِلَى اللَّهِ؛ لِأَنَّ الْعِلْمَ وَسِيلَةٌ مُوصِلَةٌ إِلَى الدَّعْوَةِ، وَالْمُشْتَغِلُ بِالْوَسِيلَةِ مُشْتَغِلٌ بِأَصْلِهَا، وَمَا لَا يَتِمُّ الْوَاجِبُ إِلَّا بِهِ فَهُوَ وَاجِبٌ.

وَمِنْ النَّكَدِ الْيَوْمَ: ادِّعَاءُ مُفَارَقَةِ الْعِلْمِ لِلدَّعْوَةِ؛ بَلِ الْعِلْمُ أُسَاسٌ، وَالدَّعْوَةُ رَأْسٌ، وَالرَّأْسُ بِلَا أُسَاسٍ لَا يَقُومُ، وَإِقَامَةُ الْأُسَاسِ تَحْصُلُ بِطَلَبِ الْعِلْمِ.

فطالب العلم الذي يتعلَّم وفي نيَّته إِصْلَاحُ الْخَلْقِ، يُوفِّقُ فِي طَلَبِهِ، وَيُؤْجِرُ عَلَى نِيَّتِهِ.

وَمِمَّا يَدْفَعُ هَذَا الْهَمَّ بَعِيدًا: الْعِلْمُ أَنَّ الْوَاجِبَ مِنَ دَعْوَةِ النَّاسِ مُنَاطٌ بِالْقَدْرِ الَّذِي يَنَالُهُ الْعَبْدُ مِنَ الْعِلْمِ، فَلَيْسَ الْوَاجِبُ عَلَى أَحَادِ الْمُتَعَلِّمِينَ مِنَ الْمَبْتَدِئِينَ وَالْمَتَوَسِّطِينَ مِنَ دَعْوَةِ الْخَلْقِ كَالوَاجِبِ عَلَى الْعُلَمَاءِ وَالْقُضَاةِ وَالْمُفْتِينَ، بَلِ الْوَاجِبُ عَلَى كُلِّ أَحَدٍ بِحَسَبِ قُدْرَتِهِ.

وَاللَّائِقُ بِسَيْرِ الطَّالِبِ الْمَبْتَدِئِ: جَمْعُ الْهِمَّةِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ، مَعَ عَقْدِ النِّيَّةِ عَلَى إِصْلَاحِ الْخَلْقِ، آخِذًا مِنَ الْعِلْمِ مَا يَتَزَوَّدُ بِهِ فِي الْإِصْلَاحِ وَالْهُدَايَةِ.

وَمَا مِثْلُ يَلِيقُ بِحَالِ طَالِبِ الْعِلْمِ وَالِدَّعْوَةِ، إِلَّا بِمِثْلِ مَا يَلْبَسُهُ الْإِنْسَانُ صَغِيرًا وَلَا يَصْلَحُ لَهُ كَبِيرًا، فَإِنَّكَ لَمَّا كُنْتَ صَغِيرًا كُنْتَ تَلْبَسُ لِبَاسًا صَالِحًا لَكَ؛ وَالْيَوْمَ وَأَنْتَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ هُوَ غَيْرُ صَالِحٍ لَكَ.

وكَذَلِكَ فِي حَالِ ابْتِدَائِكَ فِي الطَّلَبِ يَكُونُ اللَّائِقُ بِكَ مِنَ الدَّعْوَةِ هُوَ مَا يَنَاسِبُ مَا عِنْدَكَ مِنَ الْعِلْمِ؛ فَإِذَا تَزَايَدَ عِلْمُكَ فَلْيَتَزَايَدْ قَدْرُ مَا تَبَذُّهُ لِلنَّاسِ مِنَ الدَّعْوَةِ وَالْإِصْلَاحِ.

وَمَالَ الْجَامِعِ لِلْعِلْمِ هُوَ أَعْظَمُ النَّفْعِ لِلْخَلْقِ، فَإِنَّ الدُّعَاةَ الْكَامِلِينَ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ هُمُ الْعُلَمَاءُ الدَّاعُونَ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَكَمْ مِنْ جَاهِلٍ عَلِمُوهُ، وَغَافِلٍ نَبَّهُوهُ، وَأَسِيرٍ لِلشَّيْطَانِ أَطْلَقُوهُ.

وَكَمْ سَمِعْنَا عَائِبًا يَعِيبُ مُشْتَغَلًا بِالْعِلْمِ وَطَرِيقَهُ وَتَحْصِيلَهُ فِي بَوَاكِرِ شَبَابِهِ، فَمَا هِيَ إِلَّا سَنِينَ قِصَارًا، سَنَةً بَعْدَ سَنَةٍ، وَعَامًا بَعْدَ عَامٍ، حَتَّى كَانَ ذَلِكَ الطَّالِبُ لِلْعِلْمِ - مَعَ صِدْقِ نِيَّتِهِ وَقُوَّةِ عَزْمَتِهِ - أَعْظَمَ نَفْعًا لِلنَّاسِ وَإِصْلَاحًا لِلْخَيْرِ لَهُمْ مِنْ عَائِبِينَ كَثُرَ كَانُوا يَقْطَعُونَ الطَّرِيقَ عَنْهُ بِصَرْفِهِ هُنَا أَوْ هُنَاكَ، وَلَكِنَّ الْأَيَّامَ مُفْصِحَةٌ عَنِ الْحَقَائِقِ، وَأَكْثَرُ النَّاسِ نَفْعًا لِلنَّاسِ هُمُ الْعُلَمَاءُ.



إِنَّ مِنْ مَدَاخِلِ الشَّيْطَانِ عَلَى النَّفْسِ: تَخْوِيفُهَا الْفَقْرَ وَالْحَاجَةَ، وَإِعْظَامُ مَحَبَّةِ الدُّنْيَا فِيهَا، وَلِتَسَلُطِ الشَّيْطَانِ عَلَى النَّفْسِ، يَسْرِي إِلَيْهَا هَمُّ النَّفَقَةِ وَالْقُوتِ، وَيَقْوَى ذَلِكَ فِي نَفْسِ طَالِبِ الْعِلْمِ مَعَ تَكَرُّرِ الْحَدِيثِ عَنْهُ، وَرُؤْيَا لِهَثِّ النَّاسِ مِنْ حَوْلِهِ فِي جَمْعِ حَطَامِ الدُّنْيَا، وَلَا سِيَّمَا فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ.

ووسائلُ دَفْعِ هَذَا الْهَمِّ عِدَّةٌ:

منها: تَطْمِينُ النَّفْسِ بِوُصُولِ الرِّزْقِ إِلَيْهَا؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦].

فكَفَالَةُ اللَّهِ لِلرِّزْقِ تُورِثُ الطُّمَأْنِينَةَ بِوُصُولِهِ إِلَيْهِ، ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذَّارِيَاتِ]، وَمِنْ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ إِلَّا وَرِزْقُهُ مَكْتُوبٌ وَهُوَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ.

وَمِنْهَا: الْيَقِينُ بِإِعَانَةِ اللَّهِ لِأَوْلِيَائِهِ وَأَحْبَابِهِ فِي أَرْزَاقِهِمْ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضَيِّعُ السَّاعِينَ فِي حِفْظِ دِينِهِ، بَلْ يَحْفَظُ لَهُمْ أَقْوَاتَهُمْ وَقُوتَهُمْ.

وَأَنْتُمْ تَرَوْنَ أَنَّ الْمُلُوكَ لَا يُضَيِّعُونَ حَقَّ مَنْ قَامَ بِخِدْمَتِهِمْ، فَهَلْ يُظَنُّ أَنَّ أَعْدَلَ الْعَادِلِينَ، وَأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ يُضَيِّعُ حَقَّ مَنْ قَامَ فِي نُصْرَةِ دِينِهِ وَحِفْظِ شَرِيعَتِهِ!

قال ابن ماجه رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ عُمَرَ بْنِ سُلَيْمَانَ، عَنْ أَبَانَ بْنِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانٍ؛ فَذَكَرَ قِصَّةً عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَفِيهَا: أَنَّ زَيْدًا سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ: فَارَّقَ اللهُ عَلَيْهِ أَمْرَهُ، وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ، وَمَنْ كَانَتِ الْآخِرَةُ: نِيَّتَهُ جَمَعَ اللهُ لَهُ أَمْرَهُ، وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ».

ومنها: إِحْسَانُ الظَّنِّ بِاللَّهِ، فَقَدْ أَحْسَنَ إِلَيْكَ فِي رِزْقِكَ مُذْ كُنْتَ رَضِيْعًا إِلَى أَنْ صَلُبَ عُوْدُكَ الْيَوْمَ.

مَا لَكَ قَدْ أَحْزَنَكَ الْفَقْرُ وَقَدْ جَمَعْتَ الْهَمَّ فِي الصَّدْرِ
إِنَّ الَّذِي أَحْسَنَ فِيمَا مَضَى يُحْسِنُ فِي الْبَاقِي مِنَ الْعُمُرِ

ومنها: السَّعْيُ فِي طَلَبِ الرِّزْقِ وَالْأَخْذُ بِأَسْبَابِهِ، بِمَا لَا يَقْطَعُ عَنْ طَلَبِ الْعِلْمِ؛ امْتِثَالًا لِقَوْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ [الجمعة: ١٠].

ومنها: تَعْرِيفُ النَّفْسِ بِأَنَّ مَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ الرِّزْقِ هُوَ مَا يَحْفَظُ قُوَّتَهَا، وَيَسُدُّ حَاجَتَهَا.

قال ابن الوردي في «لاميته»:

مُلْكٌ كَسَرَى عَنْهُ تُغْنِي كِسْرَةً وَعَنِ الْبَحْرِ اجْتِزَاءٌ بِالْوَشْلِ

وكان أبو عمرو بن العلاء رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى يُنْشِدُ:

دَعِ الْهَمَّ بِالرِّزْقِ يَا غَافِلًا فَرُبُّكَ مِنْهُ لَنَا قَدْ فَرَّغَ

فَمَالِكَ مِنْهُ إِذَا مَا افْتَكَرْتُ بِعَقْلِ صَحِيحٍ سِوَى مَا مُضِغُ
وَجَازِ التَّرَاقِي بِلَا مَانِعٍ وَفَاتَكَ بِالْجَوْفِ لَمَّا بَلَغُ
فَدَعُ ذِكْرَ دُنْيَا تَبَدَّتْ لَنَا كَسَمِّ الشُّجَاعِ إِذَا مَا لَدَغُ

وما زاد عن هذه الحاجة ربّما أفسد النَّفْسَ، وعُوقِبَتْ به في الدُّنْيَا والآخرة.

النَّارُ آخِرُ دِينَارٍ نَطَقَتْ بِهِ وَالْهَمُّ آخِرُ هَذَا الدَّرْهِمِ الْجَارِي
وَالْمَرْءُ بَيْنَهُمَا إِنْ كَانَ ذَا وَرَعٍ مُعَذَّبُ الْقَلْبِ بَيْنَ الْهَمِّ وَالنَّارِ





إِنَّ الفطرة الإنسانية تقتضي ميلَ جنسِ النساءِ إلى الرجال، وميلَ جنسِ الرجالِ إلى النساءِ، وإجابةُ هذا الدَّاعي بالزَّواج تُورِثُ طالبَ العلمِ همًّا خوفَ أن يقطعَهُ الزَّواجُ عن مواصلةِ الطَّلَبِ، وهذه أكلوبةٌ شيطانيَّةٌ، بل مَنْ تاقَتْ نفسه إلى الزَّواجِ ووجدَ القُدرةَ عليه لم يكن له أن يتركه إجابةً لهذا الواردِ.

ويُزال هذا الهمُّ بأمورٍ:

منها: عدمُ توليده في النفسِ لِمَنْ غابَ عنه، فَمَنْ لم يجدْ في نفسه رغبةً فيه فليجتنبِ الفكرَ فيه، والحديثَ عنه؛ لئلا يُعيقه دوامُ الفكرِ عن الجدِّ في السَّيرِ.

ومنها: الاقترانُ بزوجةٍ صالحَةٍ، مُحِبَّةٍ للعلمِ، مُعَظِّمَةٍ لأهله، ولا يلزم أن تكون طالبةً عِلْمٍ.

ومنها: إحسانُ سياسةِ رعايةِ أحوالِ أهلِ البيتِ؛ بحيث يحكُمُ المُتعلِّمُ أهله ولا يحكمُونه؛ فلا يجعلُ تدبيرَ الأمورِ إليهم.

ومنها: حثُّهم على مُشاركته في الطَّلَبِ، وتحْيِيئهم فيه.

ومنها: تعريفُهم بما لهم من الأجرِ إذ يُشاركونه في فضل طلب العلم؛ لأنَّهم يُعينونه

عليه.

ومنها: الاتفاق معهم على ترتيب الوقت لإعطائهم حقوقهم ممّا يحتاجونه في حقّ خاصّ أو عامّ.

ومنها: مكافأتهم لقاء صبرهم وإعانتهم، واختيار ما تميل إليه نفوسهم من الهدايا. ولا فرق في إعمال هذه الأصول بين من تزوّج واحدة أو ضمّ إليها غيرها، ولكن يجمّل بطالب العلم ألاّ يبادر نفسه بضمّ زوجة إلى أخرى، فكثرة الواجبات تُثقله فيضعف سيّره، بل يؤخر ذلك مُدَّةً حتّى يُحصّل من العلم قدرًا وافراً.



الهمُّ السادس عشر: همُّ إصلاح الذرية

فَالذُّرِّيَّةُ عَقَبُ الرَّجُلِ بَعْدَهُ، وَصِلَا حُكْمُ يَسْرُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَمِمَّا لَا يَنْقَطِعُ مِنْ عَمَلِهِ: وَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ، كَمَا ثَبَتَ فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ».

وَأَمَامُ شُغْلِ الطَّلَبِ، تَضَطَّرِبُ النَّفْسُ فِي أَمْرِ الذُّرِّيَّةِ، اسْتِصْلَاحًا وَهَدَايَةً، وَإِذَا زَادَ الْإِقْبَالُ عَلَى الْعِلْمِ - اسْتِفَادَةً وَإِفَادَةً - عَظُمَ هَذَا الْهَمُّ، مَعَ مَا ذَكَرَهُ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْ أَنَّ الْفَسَادَ يَسْرِي إِلَى أَبْنَاءِ أَهْلِ الْعِلْمِ؛ لَانْشِغَالِهِمْ بِالنَّاسِ عَنْ إِصْلَاحِ أَوْلَادِهِمْ.

وَيَنْشَأُ مِنْ هَذَا أحيانًا: إِخْلَالٌ بِحَقِّ النَّفْسِ فِي الْعِلْمِ، أَوْ حَقِّ الْوَلَدِ فِي التَّزَكِّيَّةِ وَالْهَدَايَةِ. وَالخَطْبُ يَسِيرُ؛ لِأَنَّ الْمُعِينِ قَدِيرٌ - وَهُوَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

فَمَنْ صَدَقَتْ نِيَّتُهُ فِي الْعِلْمِ، وَاسْتَعَانَ بِرَبِّهِ عَلَى إِصْلَاحِ الذُّرِّيَّةِ؛ أَعَانَهُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ؛ لِأَنَّ اللَّهَ لَا يُضَيِّعُ ذُرِّيَّةَ مَنْ قَامَ يَحْفَظُ دِينَهُ.

وَلَكِنْ لَا بُدَّ هُنَا مِنْ تَعَاطِيِ أَسْبَابٍ تُزَيِّنُ لَهُمُ الْخَيْرَ وَتُحَبِّبُهُمْ فِيهِ:

مِنْهَا: اخْتِابُ زَوْجَةٍ صَالِحَةٍ ابْتِدَاءً، تَكُونُ أُمًّا لَهُمْ، تُعِينُ عَلَى إِصْلَاحِهِمْ.

وَمِنْهَا: دَوَامُ الدُّعَاءِ لَهُمْ بِالصَّلَاحِ وَالْهَدَايَةِ.

فَسَرَيَانُ دُعَاءِ الْوَالِدِ فِي وَلَدِهِ عَظِيمُ النِّفْعِ؛ لِقُرْبِ الْإِجَابَةِ؛ فَيَنْبَغِي عَلَى الْوَالِدِ أَنْ

يَسْتَكْثِرُ مِنْ دَعَائِهِ لَوْلَدِهِ بِالصَّلَاحِ فِي خَلَوَاتِهِ وَجَلَوَاتِهِ، وَشِدَّتِهِ وَمَسَرَّتِهِ.

ومنها: اصطحابُهم إلى رِياضِ الذِّكر، وحَلَقِ العلم؛ لتُدْرِكهم بَرَكَتُها، وتشْمَلُهم
رحمةُ الله؛ فيطيب نَبَاتُهم مع صِغَرِ أَسنانِهِم.

ومنها: تحبييهم في العلم، وحثهم على التعلُّم، ووضع المسابقات والجوائز فيه.

ومنها: اختيارُ مُؤدِّبٍ لهم إن أمكن، يُهذِّبُ أخلاقَهُم، وَيُعَلِّمُهُم كِتَابَ رَبِّهِمْ.

وَحَلَقُ الْقُرْآنِ الْمُبَثُوَّةُ الْيَوْمَ فِي مَسَاجِدِنَا تَقُومُ - بِحَمْدِ اللَّهِ - بِقَدْرِ كَبِيرٍ مِنْ ذَلِكَ.

ومنها: ملاحظة أحوالهم في داخل البيت وخارجِه؛ لِيُقَوِّمَ سلوكُهم، وتَهْدِبَ نفوسُهم
إِنْ حَدَثَ مَا لَا يُحْمَدُ مِنْهُمْ.

ومنها: شراءُ كُتُبٍ وأقلامٍ وأوراقٍ خاصَّةٍ بِهِم، وجَعْلُها في موضعِ المكتبة؛ لِئَنسُوا بها، ويتلَّهَّوْا عن إشغالِ والدِهِم بما في أيديهِم.

ومنها: ترغيبهم في الاستقلال بحضور تلك الرياض والحلق إذا شبُّوا وقوي عودُهم.

ومنها: حِفْظُهُمْ مِنْ نَوَازِعِ الشَّرِّ، وَأَبْوَابِ الْإِغْوَاءِ، وَرُفَقَاءِ السُّوءِ؛ لئَلَّا يَعْطِبَ الْوَلَدُ بِصُحْبَتِهِمْ فِيهِلَكَ.





إِنَّ زُخْرَفَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا مُزَيَّنٌ لِلنَّفُوسِ؛ كما قال الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [آل عمران: ١٤].

والحرص على الدنيا يُولِّد الهمَّ والغمَّ.

قال عبد الله الدَّارِيُّ: (كان أهل العلم بالله والقبول منه يقولون: إِنَّ الزُّهْدَ فِي الدُّنْيَا يُرِيحُ الْقَلْبَ وَالْبَدْنَ، وَإِنَّ الرَّغْبَةَ فِي الدُّنْيَا تُكْثِرُ الهمَّ والحزنَ، والبطالة تُقْسِي القلبَ وتُغَيِّرُ البدنَ).

وقال بعض مَنْ مَضَى: (إِنَّمَا يَحْصُلُ الهمُّ والغمُّ مِنْ جِهَتَيْنِ: التَّقْصِيرُ فِي الطَّاعَةِ، والْحِرْصُ عَلَى الدُّنْيَا).

وقلبُ طالبِ العلمِ مملوءٌ مِنْ شَوَاهِدِ الْوَحْيَيْنِ فِي ذَمِّ الدُّنْيَا وبيانِ حَقَارَتِهَا، غيرَ أَنَّ نَوَازِعَ الْفِطْرَةِ تَجَرُّهُ إِلَيْهَا، ومُشَاهِدُ الزَّيْفِ تَحْمِلُهُ عَلَيْهَا، وَاللَّاهِثُونَ مِنْ حَوْلِهِ إِلَيْهَا يَدْعُونَهُ لِمَوَائِدِهَا، وَيَعْلَمُ أَنَّ لَهُ فِيهَا حَظًّا لَا بُدَّ مِنْهُ لِقَوَامِ عَيْشِهِ وإِصْلَاحِ حالِهِ، فيَهْتَمُّ بِمَا يَجْرِي عَلَيْهِ مِنْ دَوَاعِيهَا.

وَدَفَعُ هَذَا الْهَمَّ يُحَصِّلُ بِأُمُورٍ:

منها: دعاءُ الله عَزَّوَجَلَّ أَنْ لَا يَغْلِبَهُ الْهَمُّ، وَأَنْ لَا تَكُونَ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّهِ، وَيَسْتَعِذُّ بِاللَّهِ عَزَّوَجَلَّ مِنْ شَرِّهَا، وَيَسْأَلُهُ خَيْرَهَا.

ومنها: تَرْكُ الْحِرْصِ وَالطَّمَعِ؛ قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدَهَمَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «كَثْرَةُ الْحِرْصِ وَالطَّمَعِ تُورِثُ الْهَمَّ وَالْجَزَعَ».

ومنها: تَقْصِيرُ الْهَمِّ فِيهَا؛ قَالَ الْحَرَّانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: (أَكْبَرُ الْهَمِّ وَالْإِهْتِمَامِ إِنَّمَا هُوَ مِنْ طُولِ الْأَمَلِ، فَلَأَجَلُهُ تُتَكَلَّفُ الْأَعْمَالُ وَالْأَشْغَالُ، وَتُجْمَعُ وَتُدَّخَرُ الْأَمْوَالُ).

ومنها: اعْتِقَادُ تَقَلُّبِ هَذِهِ الدُّنْيَا وَعَدَمُ ثَبَاتِهَا عَلَى حَالٍ؛ قَالَ بَعْضُهُمْ: (الدُّنْيَا إِنْ بَقِيَتْ لَكَ لَمْ تَبْقَ أَنْتَ لَهَا).

وَكَانَ يُقَالُ:

تَرُوحُ لَنَا الدُّنْيَا بِغَيْرِ الَّذِي	غَدَتُ، وَتَحَدَّثْتُ بَعْدَ الْأُمُورِ أُمُورُ
وَتَجْرِي اللَّيَالِي بِاجْتِمَاعٍ وَفُرْقَةٍ	وَتَطْلُعُ مِنْهَا أَنْجُمٌ وَتَغُورُ
فَمَنْ ظَنَّ أَنَّ الدَّهْرَ بَاقٍ سُورُهُ	فَذَلِكَ مُحَالٌ لَا يَدُومُ سُورُهُ
عَفَا اللَّهُ عَمَّنْ صَيَّرَ الْهَمَّ وَاحِدًا	وَأَيَّقَنَ أَنَّ الدَّائِرَاتِ تَدُورُ

فهذه الدُّنْيَا مُقَلَّبَةٌ الْأَحْوَالِ، مُتَغَيِّرَةُ الْحَالِ، لَا تَثْبُتُ عَلَى شَيْءٍ، وَإِذَا وَقَرَّ هَذَا فِي الْقَلْبِ كَانَ مِنْ أَعْظَمِ مَا يَزْهَدُ فِيهَا وَيُبْعِدُ عَنْهَا.





لقد صرنا - أيها المؤمنون - كقصعةٍ تتداعى إليها أكلتها، فتسلط على هذه الأمة أعداؤها، وغلب أبرارها فجارها، إلا من رحم الله.

وحيث ألقى العبد بنظره، واستسمع الأخبار بسمعه، شاهد في الأمة جروحاً نازفةً، وآلاماً مؤرقةً.

وعامة المسلمين مهتمومين بهذه الحال، ومنهم طلاب العلم، ويعرض لهم هذا الهم في طريق الطلب، فيحارون في كيفية التعامل معه، وربما حادوا عن السواء بسبب الغلط فيه.

وليس المخرج من هذا الهم: إماتة حق المسلمين في التواد والتراحم من القلوب. وإنما المخرج منه: إرشاد القلوب إلى ما فيه منفعتها في تلك الأحوال؛ لأن كثيراً من أهل الإسلام إذا رأوا ما عليه حال المسلمين من الغربة وتبدل الدين علاه الهم والغم، وأكثر التأسف والألم - كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية -؛ وهذا يؤذيه ولا ينفعه. والنافع هو النظر في كيفية دفع هذه الغربة، ووقف نزف الدماء ووجع الألم من الأمة، وكل واحد من أبنائها يجب عليه قدرٌ يلائم حاله.

وَمَنْ عَرَفَ هَذَا مِنْ طُلَّابِ الْعِلْمِ نَجَا وَأَنْجَا غَيْرَهُ، وَمَنْ جَهِلَهُ هَلَكَ وَأَهْلَكَ غَيْرَهُ.
وَمَوَاصِلَةُ الطَّلَبِ هُوَ مِنْ إِعْدَادِ الْعِدَّةِ لِنُصْرَةِ الْأُمَّةِ؛ فَإِنَّ آخِرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ لَا يُصْلَحُ إِلَّا
بِمَا صَلَحَ بِهِ أَوَّلُهَا.

وَجَهْلُ الْأُمَّةِ بِدِينِهَا يُوجِبُ ضَعْفَهَا، وَعِلْمُهَا بِالدِّينِ يُوجِبُ لَهَا الْقُوَّةَ.
فَالْبُكَاءُ وَالتَّبَاكِي، وَالصُّرَاخُ وَالْعَوِيلُ، وَالْأَحْلَامُ الطَّائِشَةُ، لَنْ تَدْفَعَ مَصِيبَتَنَا؛ بَلْ
يَدْفَعُهَا: بِنَاءُ الْمُؤْمِنِينَ، وَتَقْوِيَةُ دَعَائِمِ الدِّينِ، بِالْعِلْمِ وَالْيَقِينِ.
فَلْتَكُنْ عِنْدَ وُجُودِ الْهَمِّ ثَابِتًا عَلَى طَلَبِكَ، قَائِمًا بِمَا يَجِبُ عَلَيْكَ مِنَ النُّصْرَةِ، وَلَا
تَتَكَلَّفْ شَيْئًا لَيْسَ لَكَ.

وَإِذَا أَرَدْتَ هَذَا فَانْظُرْ إِلَى أَحْوَالِ الْعُلَمَاءِ الرَّاسِخِينَ فِي الْفِتَنِ الْجِسَامِ الَّتِي مَرَّتْ بِهِذِهِ
الْأُمَّةُ، ابْتِدَاءً مِنْ فِتْنَةِ الْخَلِيجِ الْأُولَى، إِلَى آخِرِ هَذِهِ الْفِتَنِ، وَكَيْفَ أَنَّهُمْ لَمْ يَتْرَكُوا دَرْسًا
وَلَا انْقَطَعُوا عَنْ فَتْوَى، بَلْ كَانُوا يَغْذُّونَ السَّيْرَ لِمَوَاصِلَةِ الْعِلْمِ وَالتَّعْلِيمِ وَهَدَايَةِ النَّاسِ؛
لِيَقِينَهُمْ أَنَّهُ مِنْ دُونِ عِلْمٍ بِالدِّينِ لَا تُدْفَعُ الْمَعَرَّةُ عَنِ الْمُسْلِمِينَ.
بَلْ لَوْ كُتِلَ أَحَدُهُمْ بِالْقَيْدِ، وَأُوصِدَ فِي السَّجْنِ بَيْنَ الْحُشُودِ، لَا يَزَالُ حِرْصُهُ عَلَى
تَعَلُّمِ النَّاسِ وَهَدَايَتِهِمْ.

فَشَيْخُ شَيْوَحِنَا الْعَلَّامَةُ نَذِيرُ حُسَيْنٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - وَهُوَ مِنْ شَيْوَحِ سَعْدِ بْنِ حَمْدِ بْنِ
عَتِيقٍ، وَعَلِيِّ بْنِ نَاصِرٍ أَبُو وَادِي، مِنْ عُلَمَاءِ هَذِهِ الْبِلَادِ - لَمَّا وَضَعَهُ الْإِنْجِلِيزُ فِي السَّجْنِ
لَمْ يَنْقَطِعْ عَنْ إِقْرَاءِ «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»، فَدَرَّسَ «صَحِيحَ الْبُخَارِيِّ» كُلَّهُ.





مِمَّا يَكُونُ سَبَبًا لِلْهَمِّ عِنْدَ طَالِبِ الْعِلْمِ: تَقَلُّدُهُ لَوَلَايَةٍ؛ وَهِيَ تَدْبِيرُ الْأُمُورِ فِي شَيْءٍ مَا قَبْلَ بُلُوغِ الْغَايَةِ مِنْهُ، وَكَانَ عَمْرٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: «تَفَقَّهُوا قَبْلَ أَنْ تُسَوِّدُوا»؛ أَيِ تَصِيرُوا سَادَةً بِتَقَلُّدِ الْوَلَايَةِ.

وَأَكْثَرُ مَا يَدْخُلُ الْهَمُّ عَلَى الْمَبْتَدِئِ وَالْمَتَوَسِّطِ فِي هَذَا الْمَدْخَلِ مِنْ جِهَتَيْنِ:

- إِحْدَاهُمَا: وِلَايَةُ الْإِمَامَةِ وَالْأَذَانِ.
- وَالْأُخْرَى: وِلَايَةُ التَّعْلِيمِ فِي الْمَدَارِسِ الْحُكُومِيَّةِ، وَنِظَائِرُهَا مِنْ وَظَائِفِ الْمُتَخَرِّجِينَ.

فَتَقَعُ نَفْسُ طَالِبِ الْعِلْمِ عُرْضَةً لِلنَّوَازِعِ، بَيْنَ الْقِيَامِ بِالْوَلَايَةِ، وَبَيْنَ الْإِشْتَغَالِ بِالْعِلْمِ. وَالْحَقُّ أَنَّ السَّلَامَةَ لَا يَعْدِلُهَا شَيْءٌ، فَمَنْ لَمْ يَضْطَرَّ إِلَى شَيْءٍ مِنْهَا فَتَفْرِغِ النَّفْسَ لِلطَّلَبِ أَوْلى.

لَكِنْ مَنْ صَارَ قَائِمًا بِشَيْءٍ مِنْهَا، وَلَا قُدْرَةَ لَهُ عَلَى تَرْكِهِ - لِأَنَّهُ يَرَى أَنَّ انْتِفَاعَهُ هُوَ بَقَائِهِ فِيهَا -؛ فَيُدْفَعُ هَمُّهُ بِإِعْطَاءِ كُلِّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ:

- فليجتهد في إحسانِ تدبيرِ الوَلَايَةِ، وَأَدَاءِ حَقِّهَا، مَعَ الْإِقْبَالِ عَلَى الْعِلْمِ.

- ويغتَنَّمُ الأوقاتَ الَّتِي يَسُوغُ لَهَا فِيهَا النِّيَابَةُ بِالْوَلَايَةِ لِيَسْتَفِيدَ مِنْهَا فِي طَلَبِ الْعِلْمِ؛ كَالْإِجَازَاتِ، أَوْ مَا يَسْمَحُ بِهِ النُّظَامُ مِنَ الاسْتِئْذَانِ وَالْإِنَابَةِ.
- وَلِيَحْذَرَ إِهْدَارَ الأوقاتِ الَّتِي لَا تَعَارُضُ فِيهَا بَيْنَ طَلَبِهِ لِلْعِلْمِ وَقِيَامِهِ بِالْوَلَايَةِ؛ كَأَوَائِلِ النَّهَارِ بَعْدَ الْفَجْرِ، وَأَوَاسِطِ اللَّيْلِ بَعْدَ الْعِشَاءِ.





إذا تصدَّى الحَدَث فَاتَه عِلْمٌ كَثِيرٌ، والرَّئَاسَةُ فِي الْعِلْمِ لِلصَّغِيرِ تَذْهَبُ بِكَثِيرٍ مِنَ الْعِلْمِ،
وَفَرَحُ الْمُتَعَلِّمِ بِمَا حَصَلَ وَرَغْبَتُهُ فِي الْخَيْرِ وَتَبْلِيغِ الدِّينِ تَحْمِلُهُ عَلَى التَّصَدِّي وَالْإِفَادَةِ.
فَإِذَا ذَكَرَ الْأَمْرَ الْأَوَّلَ ضَعْفَ، وَإِذَا ذَكَرَ الْأَمْرَ الثَّانِي نَشِطَ، وَهُوَ بَيْنَهُمَا مَهْمُومٌ بِالْعَدْلِ
فِيهِمَا.

وطرد هذا الهمَّ بِإِدْرَاكِ الطَّالِبِ أَنَّ حَيَاتَهُ الْعِلْمِيَّةَ تَنْقَسِمُ إِلَى وَقَتَيْنِ:

- أَحَدُهُمَا: وَقْتُ تَحْمُلٍ وَأَخْذٍ لِلْعِلْمِ.
- وَثَانِيهَا: وَقْتُ أَدَاءٍ وَتَبْلِيغٍ لَهُ.

وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَتَشَاغَلَ فِي وَقْتِ التَّحْمُلِ بِأَدَاءٍ يَمْنَعُهُ مِنَ الْإِزْدِيَادِ مِنَ الْعِلْمِ، بَلْ
يَجْعَلُ نَفْسَهُ مَجْمُوعَةً عَلَى الطَّلَبِ وَالتَّحْصِيلِ، وَلَا يُمَزِّقُ شَمْلَهَا بِتَصَدِّ قَاطِعٍ، وَإِفَادَةٍ
مَانِعَةٍ مِنَ الزِّيَادَةِ.

وَلَا يَحُولُ سَبِيلُهُ وَفَقْ هَذَا مِنْ إِرْشَادٍ مُسْتَرَشِدٍ، أَوْ هِدَايَةِ مُسْتَهْدٍ، بِقَدْرِ لَا يَقْطَعُهُ عَنْ
مِرَادِهِ الْأَكْبَرِ، وَهُوَ التَّحْمُلُ وَالْأَخْذُ لِلْعِلْمِ.

وَمَنْ سَارَ فِي الْعِلْمِ مُهْتَدِيًّا بِهَذِهِ الْقَاعِدَةِ، انْدَفَعَ عَنْهُ هَمُّ التَّصَدِّي وَالْإِفَادَةِ بِعِلْمِهِ؛ لِأَنَّ

زمانه هذا لا يصلح لذلك، حتَّى إذا مُلئَ علماً تصدَّى لنفع النَّاس وإفادتهم.



وبعد:

أيُّها المؤمنون!

فهذه عشرون همًّا هي جماع الأصول الَّتِي تجتمع فيها هموم الطَّالِبِينَ، وقد بيَّنا أحوالها، وسُبلَ دوائها، فحرِّئْ بقاصِدِ النِّجاةِ والتَّحصيلِ للعلمِ أَنْ يجتهد في دفع هذه الواردات إذا تكاثرت على قلبه، وليأخذ بهذه الأدوية النافعة؛ فإنَّها مستخرجةٌ من مشكاة القرآن والسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ، مُستصحبٌ فيها تجاربُ الأُممِ الماضية.

وليعلم أنَّ هذا الطَّرِيقَ قد سلكه قبله سالكون، فليتهد بهديهم، وليستفد من إرشادهم، وليستكثر من خيرهم؛ فبذلك تندفع عنه الهموم والغموم.

اللَّهُمَّ نَفْسُ كُرْبِ المَكْرُوبِينَ، وَفَرَجُ همومِ المَغمُومِينَ، وَأَقْضِ الدَّيْنَ عَنِ المَدِينِينَ، وَأَصْلِحْ أحوالَ المسلمين.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ عِلْماً نافِعاً، وَعَمَلاً صالحاً، وإيماناً زائداً، ويقيناً راسخاً.

اللَّهُمَّ حَبِّبْ إلينا الإيمانَ، وزَيِّنْهُ في قُلُوبِنَا، وَكَرِّهِ إلينا الكفرَ والفسوقَ والعصيانَ، واجعلنا اللَّهُمَّ من عبادك الرَّاشِدِينَ.

اللَّهُمَّ أَرِنَا الحَقَّ حَقًّا وارزقنا اتِّباعه، وَأَرِنَا الباطلَ باطلاً وارزقنا اجتنابه.

اللَّهُمَّ احفظنا بالإسلام قائمين، واحفظنا بالإسلام قاعدين، واحفظنا بالإسلام

نائمين.

اللَّهُمَّ أَحِينَا عَلَى الْإِسْلَامِ وَالسُّنَّةِ، وَتَوَفَّنَا عَلَى الْإِسْلَامِ وَالسُّنَّةِ.

اللَّهُمَّ هَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا، وَاجْبُرْ كَسْرَنَا، وَارْحَمْ ضَعْفَنَا، وَاسْتُرْ زَلَّاتَنَا، وَكَفِّرْ
سَيِّئَاتَنَا، وَاعْفِرْ خَطِيئَاتَنَا، وَتَجَاوَزْ عَمَّا سَلَفَ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا، وَهَيِّئْ لَنَا فِيمَا بَقِيَ مِنْ عَمْرِنَا
صَلَاحًا فِي أَقْوَالِنَا وَأَعْمَالِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ بَرَكَهً فِي نِيَّاتِنَا، وَبَرَكَهً فِي ذُرِّيَّاتِنَا، وَبَرَكَهً فِي أَعْمَالِنَا، وَبَرَكَهً فِي أَقْوَالِنَا،
وَبَرَكَهً فِي قُوَّاتِنَا، وَبَرَكَهً فِي أَقْوَاتِنَا.

﴿سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ

الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾ [الصفات].

